وَرَثَةُ الأَنبِيَاء

للشيخ بدر بن نادر المشاري

@badr_almeshari

إعداد سعدية السعيدي

@saadiahalsaaedi

تصميم المشاعل

@ALMashael41

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على نبينا محمد إمام العلماء ، و قدوة المتعلمين ، و على آله و صحابته الأطهار الذين حفظ الله بهم هذا الدين فأظهروه و لم يكتموه ، فرضي الله عنهم و عن تابعيهم و تابع تابعيهم الذين فقهوا الكتاب و السنة و جاهدوا في الله حق جهاده في سبيل حفظ الدين و نشره للأمة نقياً جلياً بدون زيادة أو نقصان . و بعد ...

لا شك أن للعلم مكانة عظيمة ، و منزلة رفيعة ، فهو أهم سلاح يمتلكه الإنسان لأنه أساس الحضارة و مجد الحياة ، و لعظم شأن العلم أثنى الله في كتابه العزيز على حملة العلم فقال جل و علا ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة: ١١]، بل إن من أجلّ و أعظم مناقب أهل العلم أنهم ورثة الأنبياء ، لحديث النبي صلى الله عليه و سلم الذي ورد في سنن أبي داود " إن العلماء ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنَّما ورَّثوا العلم، فمَن أخذه، أخذ بحظٍّ وافر " ، و على رأس هؤلاء ، علماء أهل السنة الذين تمسكوا بسنة النبي صلى الله عليه و سلم ، و حافظوا على شريعته ، و نشروها في شتى أصقاع الأرض ، بل صبروا و تحملوا المصاعب و صنوف العذاب في سبيل حفظ الإسلام و الثبات على الحق ، فهم بلا أدنى شك قدوات صالحة لأبناء هذه الأمة ، ، فيجدر بمن عايشهم و من لحقهم أن يجتهدوا في نشر سيرهم ، و يحفظوا علمهم، و يبينوا صبرهم و كفاحهم في سبيل حفظ و نشر العلم ، حتى يقتدي بهم الشباب و ينهجوا نهجهم ، و يسلكوا سلوكهم ، خصوصا في زماننا الحالي والذي مع الأسف الشديد غابت فيه القدوة الحسنة فكان غيابها سبباً في ضياع طاقات الشباب و هدر لأوقاتهم ، بل إن المعضلة الكبرى أن بعض شباب الإسلام في الوقت الراهن اتخذ قدوته مشاهير غير مسلمين عُرفوا ربما بالفسق و الفساد فأثر ذلك سلباً في حياتهم و تعاملهم مع الآخرين ، و إن نشر سيَر العظماء من علماء المسلمينمن أنفع ما يمكن تقييده للاستفادة منهم و التأسي بهم ، لأنه من الصعب أن يقتدي الإنسان بشخصية يجهلها ! .

فمن هذا المنطلق سعى جاهداً فضيلة الشيخ الدكتور بدر بن نادر المشاري حفظه الله - عبر برنامجه التلفزيوني" ورثة الأنبياء " على قناة بداية الفضائية - في نشر سيَر هؤلاء العظام بأسلوبه السلس الذي لا يستصعب على العامة ، فاستفتح الشيخ لقاءات برنامجه (ورثة الأنبياء) بالحديث عن الصحابيين الجليلين الحسن و الحسين أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وذلك استكمالًا لسلسلة لقاءات برنامجه السابق (وزراء الرسول) والذي خصصه للحديث عن الخلفاء الراشدين الأربعة ، و لأهمية تلك الحقبة و كثرة الحديث و الجدال حول مقتل الحسين رضي الله عنه و اختلاف القصص في ذلك ، أراد فضيلته إيضاح القصة الحقيقية لمقتله رضي الله عنه . ثم شرع فضيلته في الحديث عن كبار علماء أهل السنة و الجماعة ، جهابذة العلم ، الفقهاء الأربعة : أبو حنيفة النعمان ، مالك بن أنس ، محمد بن إدريس الشافعي ، أحمد بن حنبل رضي الله عنهم جميعاً ، حتى يبين لشباب الأمة أنهم باستطاعتهم التأسي بهؤلاء الأئمة ، فهم لم يعيشوا في زمن نزول الوحي و لم يقابلوا النبي صلى الله عليه و سلم ، بل على عكس ذلك عاشوا في زمن الانفتاحات و الماديات و مع ذلك صمدوا و صبروا و جاهدوا في سبيل نشر العلم و سنة النبي صلى الله عليه و سلم في كل بقاع الأرض .

و كان من توفيق الله تعالى لي أني بذلتُ وسعي و جهدي في إعداد و تلخيص تلك اللقاءات و جمعها في هذا الكتاب لتيسير النفع ، سائلة المولى جل و علا أن يجعله مقبولًا عنده ، نافعاً لي و للمسلمين .

والله ولي التوفيق.

الحسن بن علي
رضي الله عنه

اسمه و نسبه

الحسن بن علي بن أبي طالب .

أمه : فاطمة بنت محمد ﷺ .

جده لأمه : النبي محمد ﷺ.

جده لأبيه : " أبو طالب " عبد مناف بن عبد المطلب .

جدته لأمه : خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

جدته لأبيه : فاطمة بنت أسد الهاشمية .

مولده

ولد في ١٥ من رمضان من العام الثالث للهجرة .

بُشّر النبيﷺ بمولده عندما كان في المسجد فقام مسروراً و ترك الناس منطلقا إلى بيت علي رضي الله عنه , فحمله بين يديه و سمّاه الحسن << قيل إن لم يُسمَّ بهذا الاسم أحد قبله ، ثم أذن في أذنه اليمنى ثم برّكه << قال ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، ثم حنّكه < أخذ تمرة من ريقه ووضعها في يده و دلكها في فم الصبي .

حلق علّي شعر الحسن كله ، و وزنه فقال لزوجته فاطمة أخرجي من وزنه فضة ، ثم تصدق بها .

قام النبيﷺ بختنه , والختان سنة من سنن الفطرة . ثم عقّ عنه ذبيحتين .

أخوته الأشقاء

الحسين و محسّن ، زينب ، أم كلثوم . كما كان له ٢٧ من الأخوة غير أشقاء

الحسن و الحسين هما سبطا النبي ﷺ << وفي اللغة السبط هو ولد الابنة .

هيئته رضي اللّه عنه

كان أشبه الناس بالنبيﷺ في وجهه ؛ في أحد المرات رآه أبو بكر رضي الله عنه فقال : بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيه بعلي، وعلي يضحك .

قال رسول الله ﷺ " الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة " ... لماذا ؟؟ *
يقال إن عندهما من شيم و قوة الشباب ما تستحق الثناء في سن الكهولة ، و قيل إنهما يدخلان الجنة وهما شباب .

* كان يقول عنه النبي ﷺ " إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ".

* روي أن النبي ﷺ وضع الحسن بن علي على عاتقه و كان يقول: " اللهم إني أحبه فأحبه " .

كان ﷺ يقول عن الحسن و الحسين " هما ريحانتاي من الدنيا " *

* في أحد الأيام كان النبي ﷺ يخطب على المنبر ، فدخل الحسن و الحسين المسجد يمشيان ويعثران ويقومان، فنزل النبي ﷺ فأخذهما فوضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله: " إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ " رأيت هذين فلم أصبر . ثم أكمل خطبته .

علاقة الحسن بن علي بالصحابة رضوان الله عليهم جميعاً

*وجد الحسن في عهد الخلفاء الراشدين كل الحب و الاحترام و التقدير .

* كان أبو بكرٍ رضي الله عنه في خلافته يدعو الناس إلى محبّةِ النبي ﷺ وآلِ بيته ،ويقول : (ارقبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم في آل بيته) ، والمراقبةُ للشيء : المحافظةُ عليه ، أي لا تؤذوهم ولا تُسيئوا إليهم .

* تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه أم كلثوم أخت الحسن و الحسين ، لأنه سمع حديث النبي ﷺ " كل سبب و كل نسب و كل صهر يوضع يوم القيامة إلا سببي و نسبي و صهري " وهو له مع النبي ﷺ السبب (صُحبته له) و النسب (ابنته حفصة زوجة النبي ﷺ) فأراد أن يجمع لهما الصهر ليرفع يوم القيامة سببه و نسبه و صهره .

* الحسن بن علي هو من دافع عن عثمان بن عفان _رضي الله عنهما _عندما أراد الخوارج قتله حتى جُرح .

مبايعته بالخلافة

بعد استشهاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت إمارة الشام على وفاق مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكانت إمارة كبيرة مستقرة كما كانت قوية وحصينة، فكانوا يشعرون بقوة بأسهم، أما أهل العراق، فبايعوا الحسن بن علي رضي الله عنه وأرضاه؛ ليكون خليفةً للمسلمين ، و أول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة ، قائلًا له : امدد يدك نبايعك . لكن الحسن لم يردّ عليه ، ولم يرض بهذا الأمر، ولم يكن يريده؛ لأنه يعلم أن وراءه دماء كثيرة ، ولكن مع إصرارهم قَبِل رضي الله عنه البيعة، التي حدثت في نفس اليوم الذي توفي فيه والده علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فخطب الحسن خطبة فقال فيها : " تبايعوني على كتاب الله و سنة نبيه ، و أن تسالمون من سالمت ، و تحاربون من حاربت " < و كأنه تمهيد للصلح مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما و التنازل له عن الخلافة .

أما أهل الشام فبايعوا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بالخلافة ، وأصبح للمسلمين ولأول مرة خليفتان، أحدهما في الشام، والآخر في العراق، وهذا لا يستقيم شرعًا !!

وكان الحسن بن علي رضي الله عنه لا يحب القتال، وهو ممن حاول أن يمنع أباه علي رضي الله عنه من الذهاب إلى صفين، لولا أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أقنعه بأنه إنما يقيم شرع الله بمقاتلة من خرج على بيعة الإمام . فلما تولّى الحسن رضي الله عنه الخلافة رغِب في الكفّ عن القتال، وحفْظ الدماء، وعدم الدخول في مشاحنات، أو معارك بين المسلمين، لكن أهل العراق أصّروا على قتال أهل الشام وعلى رَدّ الإمرة إلى العراق، وثاروا كعادتهم عليه رضي الله عنه، واجتمعت الألوف المؤلّفة على أمر قتال أهل الشام، فخشِي الحسن رضي الله عنه من فتنة مخالفة كل هذه الجموع، فخرج رضي الله عنه على رأس جيش لقتال أهل الشام وهو كارهٌ لهذا الأمر، وعلم معاوية رضي الله عنه بخروجه فخرج له بجيشه. لكن الحسن اتخذ قرارا شجاعاً، فقد خطب بالناس خطبة التنازل فقال من ضمن ما قاله فيها : إن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون حق امرئ فهو أحق به مني وإما أن يكون حقا هو لي فقد تركته إرادة إصلاح الأمة وحقن دمائها . فكبّر الناس بعضهم مؤيدين الحسن و بعضهم معارضين و يشتمونه و يصفونه بالجبن و الخيانة ! .

تنبيه

لـم يكن تنازل الحسن بسبب خوفه كما نعتوه ، بل هو من أشجع الصحابة ، و لكن تنازل حقناً لدماء المسلمين . < تحقيقاً لنبوءة النبي صلى الله عليه و سلم عندما قال " إن ابني هذا سيد و سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين " .

من شروط التنازل

أن تكون الخلافة بعد معاوية شورى بين المسلمين .

من نتائج و آثار التنازل

حقن دماء المسلمين _ كثرة الفتوحات _ القضاء على قوة الخوارج في ذاك الوقت .
ثم ذهب الحسن و الحسين لمبايعة معاوية بالخلافة و سمي ذلك العام بـ " عام الجماعة" .

* استمرت خلافة الحسن قبل تنازله لمعاوية ٦ أو ٧ أشهر , و به اكتملت الخلافة الراشدة ٣٠ سنة ، لقول النبيﷺ : (تكون الخلافة ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً) ، حيث كانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصف وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة , وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر .

وفاته

مات الحسن متأثرا بالسم عام ٥١ هـ ، و عمره ٤٨ عاما ، فصلى عليه حشد كبير من الناس في مسجد النبيﷺ , و دفن في البقيع .

الحسين بن علي
بن أبي طالب
رضي الله عنه

اسمه و نسبه

الحسين بن علي بن أبي طالب ،

أمه : فاطمة بنت محمد ﷺ ،

جده لأمه : النبي محمد ﷺ ،

جده لأبيه : " أبو طالب " عبد مناف بن عبد المطلب ،

جدته لأمه : خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ،

جدته لأبيه : فاطمة بنت أسد الهاشمية .

مولده

ولد في شهر شعبان من العام الرابع للهجرة ، ففرح النبيﷺ بمولده ، و سمّاه الحسين .

محبة النبي صلى الله عليه وسلم له

قال النبيﷺ " حُسين مني وأنا مِنْ حُسين ، أحَبَّ الله مَن أحبَّ حُسيناً ، حُسيْنٌ سِبْطٌ من الأسباط " ، كما قالﷺ" اللهم إني أحبه فأحبّه " ، وكان يقول ﷺ " الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة " و قوله ﷺ عنهما" هما ريحانتاي من الدنيا " ، وكان ﷺ يقول فيما معنى الحديث : أنا و فاطمة و علي و الحسن والحسين في منزلة واحدة يوم القيامة .

كنيته

يُكنى الحسين بن علي بأبي عبد الله .

عدد زوجاته و أبنائه

تزوج سبعة من النساء ، و أنجب ٨ من الأبناء .

* وجد الحسين كامل الاحترام وَ التقدير في عهد الخلفاء الراشدين : أبو بكر و عمر و عثمان و علي .

* بايع الحسين مع أخيه الحسن معاوية بن أبي سفيان خليفة على المسلمين بعدما تنازل الحسن له عن الخلافة لكن اشترط عليه أن تكون الخلافة بعده شورى ولا تورّث .

الحسين في خلافة معاوية رضي الله عنهما

وجد الحسين في عهد معاوية رضي الله عنهما كامل الاحترام و التقدير ، و شارك مع جيش فتح القسطنطينية ، كما رفض الخروج على الإمام (معاوية) حينما طلب عدد من أهل الكوفة مبايعته بالخلافة .

و في عام ٥٦ هـ ، دعا معاوية الناس إلى مبايعة ابنه يزيد ولياً للعهد لأنه يرى فيه الشجاعة و الحكمة و القوة وهي من أهم السمات التي لابد توافرها في الحاكم .

تنبيه بالرغم من أن قرار معاوية هذا كان خاطئاً ، فليس من الصحة أن يُشتم و يُقدح فيه لأنه رضوان الله عليه صحابي جليل وهو أحد كتّاب الوحي !.

موقف الحسين و غيره من الصحابة رضوان اللّه عليهم من بيعة يزيد بن معاوية :

جميع أهل الشام والكوفة و البصرة بايعوه بذلك إلا أهل المدينة و على رأسهم : عبد الله بن الزبير ، عبد الله بن عمر ، عبد الله بن عباس ، الحسين بن علي -رضي الله عنهم جميعاً- لـ ٣ أسباب :

لأنهم يريدون أن تكون الخلافة شورى بين المسلمين .

المجتمع فيه من هو أحق بالخلافة من يزيد بن معاوية .

لأن معاوية خالف الاتفاق الذي تمّ بينه و بين الحسن بن علي رضي الله عنهما .

مراسلات أهل الكوفة للحسين رضي الله عنه

بعد وفاة معاوية سنة ٦٠ هـ ، وَلِي الخلافة ابنه يزيد ، فرفض عدد من أهل الكوفة مبايعته ، فأرسلوا عدة رسائل إلى الحسين يريدونه خليفة على المسلمين ، لكن الحسين تريّث في الأمر ، وأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل ليتحرى الأمر و يتأكد من مناصرتهم له ، وبالفعل ذهب مسلم و وجد ترحيباً منهم , و جمع منهم ١٢ ألف كلهم يريدون مبايعة الحسين بالخلافة ، ففرح مسلم و أرسل رسالة إلى الحسين وطلب منه أن يأتي للعراق حال وصول هذه الرسالة إليه .

* انتشر أمر مسلم بن عقيل في الكوفة بسبب الجواسيس ، فعلم الخبيث أمير الكوفة عبيد الله بن زياد بأمره و أمر شيعته فأغرى بعضهم بالمال ليتخلوا عن مناصرة الحسين و هدد الباقين بالقتل إن لم يكفّوا عن مناصرته ، وبالفعل تناقص عددهم من ١٢ ألف إلى ٣٥٠ رجلًا فقط ! ثم لم يبقَ سوى مسلم بن عقيل لوحده

<< هذا الخذلان هو من تسبب في مقتل الحسين !

فأرسل مسلم إلى الحسين رسالة يخبره فيها بخذلان أهل الكوفة و كذبهم و خيانتهم له ، و حذّره من القدوم للعراق .

أمر ابن زياد بقتل مسلم ، وبالفعل قتله أمام الناس و قتل معه هانئ بن عروة الذي استضاف مسلمًا في بيته .

* لما وصلت رسالة مسلم الأولى إلى الحسين عزم على المسير فأخذ معه النساء و الصبيان و عدد كبير من آل البيت ، ولم يبقَ في المدينة إلا أخوه محمد الحنيفية بسبب مرضه ، فانطلق الحسين إلى مكة ليطوف بالبيت قبل ذهابه إلى العراق .

معارضة الصحابة رضوان الله عليهم لخروج الحسين إلى العراق :

حاول عدد من الصحابه منعه من الذهاب فلم يستطيعوا ، حيث قال ابن عباس : إن أهل العراق قوم غُدر فلا تغتَرَنَّ بهم، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم، وإلا فَسِر إلى اليمن فإن به حصونًا وشعابًا ولأبيك به شيعة،
فقال الحسين بن علي: يا بن عم، والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعت المسير .
أما ابن الزبير فقد تعجب من مسير الحسين بن علي إلى أهل العراق وهو يعلم علم اليقين أنهم قتلوا أباه وطعنوا أخاه، فقال له: إلى أين تذهب، إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك؟! لكن الحسين عزم على الذهاب ليقضي على الفوضى في العراق .

الخروج إلى العراق

خرج الحسين إلى العراق في الثامن من شهر ذي الحجة ، و معه آل البيت أفضل أهل الارض في ذاك الوقت ، فلما وصل إلى منطقة الصفاح، قابل الفرزدق الشاعر ، فسأله الحسين بن علي عن تصوره لما يقوم به أهل الكوفة حياله، ثم أراد أن يعطي الفرزدق إيضاحاً أكثر وقال: هذه كتبهم معي، فرد عليه الفرزدق: يخذلونك فلا تذهب !! ، فإنك تأتي قوماً قلوبهم معك و سيوفهم مع يزيد .
أثناء سير الحسين إلى العراق بلغه خبر مقتل ابن عمه مسلم، فحزن حزناً شديداً، وذهب إلى إخوة مسلم يطلب منهم
العودة ، فقالوا: "والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نُقتَلَ". وصلت للحسين رسالة مسلم الثانية التي يخبره فيها بعدم القدوم .
عندما أشرف الحسيُن بن علي على العراق، رأى طليعة لابن زياد، فلما رأى ذلك رفع يديه بالدعاء وطلب المعونة من الله ،
وكان عدد هذه الطليعة ١٠٠٠ فارس بقيادة الحر بن يزيد التميمي ، فقال الحسين : إما أن تَدَعُوني فأنصرف من حيث جئت، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، لكن ابن زياد رفض وقال إما يبايعنا أو يُقتل .

الحسين رضي الله عنه في كربلاء

انطلق الحسين إلى مدينة كربلاء فلم يعرفها ، فسأل عن اسمها ، فقالوا: كربلاء ، فقال : كرب و بلاء ! فتذكر مقولة والده "سيقتلون و ستراق دمائهم " . وصلت جيوش بن زياد لكربلاء لقتل الحسين أو يبايعهم بالخلافة .

وفي ليلة التاسع من محرم اجتمع الحسين مع إخوته و جميع آل البيت و بدأ يثني عليهم وكأنه يودعهم ، و طلب منهم الرجوع إلى المدينة لأنه هو المقصود بتلك الحرب ، لكنهم رفضوا و أصروا على البقاء معه .

و في اليوم العاشر من محرم صلى الحسين الفجر بأصحابه ، ثم ذهب للخيمة و اغتسل ثم أخذ مصحفه و ركب فرسه ثم دعا الله و توسل إليه . رتب الحسين الجيش ميمنة وميسرة و مقدمة , ثم أمر بإشعال النار من الخلف عند النساء لحمايتهم ,

فخطب بالناس : " راجعوا أنفسكم وحاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلي؟ وأنا ابن بنت نبيكم، وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري، وقد قال رسول الله ﷺ لي ولأخي: " هذان سيدا شباب أهل الجنة "

وصار يحثهم على ترك أمر عبيد الله بن زياد والانضمام إليه ، فانضم للحسين منهم ثلاثون، فيهم الحر بن يزيد التميمي الذي كان قائد مقدمة جيش عبيد الله بن زياد .

كارثة كربلاء و استشهاد الحسين رضي الله عنه

رأى الحسين وفداً من أهل الكوفة فقال لهم : أين أنتم يا من كتبتم بمبايعتي ؟! فقالوا : لم نكتب لك ! فقال؛ بل كتبتم و كذبتم ثم دعا عليهم . اجتمع الناس حوله و دافع عنه الحر حتى قُتل ، ثم دافع عنه ابنه علي فرُمي بالرماح حتى قُتل ، ثم اجتمعوا على القاسم بن الحسن فنادى عمه يستنجده ، فلما أراد أن يدافع عنه وجده قد قُتل فحزن حزنا شديداً.

تجمع عليه الجيش من كل جانب و ضربه زرعة التميمي حتى سقط ، ثم تقدم سنان بن أنس فطعنه في ترقوته ، و فصل رأس الحسين عن جسده . فوجدوا فيه أثر ٣٣ طعنة و ٣٤ ضربه .

أُخذ رأس الحسين لابن زياد ، فأخذ عود قضيب فأدخله في فمه فغضب أنس بن مالك لأنه قد رأى النبيﷺ يقبّل فمه !

استشهد الحسين في يوم الجمعة العاشر من محرم من عام ٦١ هـ ، و حُمِل إلى الـمدينة و دفن بالبقيع .

مسائل مهمة

*أن أول من نصر الحسين و آل البيت هم الصحابة رضوان الله عليهم .

*صيام يوم عاشوراء لا علاقة له بمقتل الحسين بل نصومه لانتصار موسى على فرعون.

* لا يمكن أن يستبدل الشكر بالحزن واللطم كما نراه عند الشيعة ، ولو أن الحسين حياً لمنع ذلك الفعل .

*لا بد أن نجمع الكلمة ولا يكن مقتل الحسين سبب لفرقتنا .

* مقتل الحسين لا يحتاج إلى رفع شعارات ، فإن سنة النبي ﷺ هي سنة الحسين التي اقتفاها .

بلال بن رباح
رضي الله عنه

اسمه و مولده

هو بلال بن رباح الحبشي . يكنى بأبي عبد الله ، كان عبداً و مولى لـ بني جمح بمكة ، و كانت أمه (حمامة) إحدى إمائهم وجواريهم .
قيل أنه ولد بعد عام الفيل بـ ٣ سنوات في الحبشة .

صفاته الخَلْقية

كان نحيفاً ، طويلًا جداً ، شديد السُمرة ، كثّ الشعر ، جميل الصوت .

من صفاته الخُلُقية

التواضع : كان رضي الله عنه يكره ثناء الناس عليه فيقول عن نفسه تواضعًا :
" إنما أنا حبشي، كنت بالأمس عبدًا.

قصة إسلامه

كان من السابقين إلى الإسلام ، فقد أسلم في أول سنة من البعثة ، بل هو ثالث من جهر بإسلامه حباً في الإسلام و نصرة للحق ، السبعة الذين جهروا بالإسلام هم :-

النبي ﷺ
أبو بكر الصديق
بلال بن رباح
عمار بن ياسر
سمية أم عمار
صهيب
المقداد أو الخباب .

وقد رُوي في قصة إسلامه أن رسول اللهﷺ وأبا بكر اعتزلا في غار، فبينما هما كذلك إذ مرّ بهما بلال وهو في غنم عبد الله بن جدعان، وكان لعبد الله بمكة مائة مملوك ، فلما سمع أن العبيد يدخلون في الإسلام طردهم من مكة ولم يبقِ إلا بلالًا ليرعى غنمه . فبينما كان النبي ﷺ في الغار رأى بلالًا ، فناداه : "يا راعي، هل من لبن؟" فقال بلال: ما لي إلا شاة منها قوتي، فإن شئتما آثرتكما بلبنها اليوم. فقال رسول اللهﷺ : " ائت بها"، فجاء بها فدعا رسول الله بقعبه فاعتقلها رسول اللهﷺ فحلب في القعب حتى ملأه فشرب حتى روي، ثم حلب حتى ملأه فسقى أبا بكر، ثم حلب حتى ملأه فسقى بلالًا حتى روي، ثم أرسلها وقد ازداد لبنها , ثم قالﷺ له : هل لك في الإسلام؟ فإني رسول الله". فأسلم بلال مباشرة ، ثم انصرف بغنمه وبات بها وقد ازداد لبنها . فعاد إليه ثلاثة أيام يسقيهما ، ويتعلّم الإسلام ، حتى إذا كان اليوم الرابع ، مرّ أبو جهل بعبد الله بن جدعان فقال : إني أرى غنمك قد نمت وكثر لبنها ؟! فإن عبدك هذا يعرف مكان ابن أبي كبشة ، فامنعوه أن يرعى المرعى ، فمنعوه .

و في أحد الأيام ، دخل بلال الكعبة وهو لا يعلم أن قريشاً في ظهرها! ، فالتفتَ فلم يرَ أحداً ، فأتى الأصنام وجعل يبصُقُ عليها ويقول "خابَ وخسَر من عبدكُنّ " ، فلما علم بقريش هرب حتى دخل دار سيده عبد الله بن جدعان فاختفى فيها ، ونادَوْا عبد الله بن جدعان ، فخرج لهم ، و سألوه : أصبوتَ ؟! ، فأجابهم : كلّا ، فقالوا: فإنّ عبدك صنَع كذا وكذا ، فدعا به ، فاعترف و أعلن إسلامه ، فقال ابن جدعان لأبي جهل وأمية بن خلف : شأنكما به فهو لكما ، اصنَعا به ما أحببتُما .

فأخذه أمية بن خلف وهو يهدد و يقول : لن تغيب شمس هذا اليوم إلا وقد غربت شمس الدين في قلب هذا العبد ! .

صور من تعذيب كفار قريش لبلال بن رباح رضي اللّه عنه

كانوا يخرجون به للصحراء في الظهيرة ، فيطرحونه على حصاها الملتهب وهو عريان ، و يلبسونه درع من حديد و يجعلون أطفالهم يسحبونه في سكك مكة ، ويصيحون به : اذكر اللات والعزى فيجيبهم : أحد أحد .

يقال بأنه لم يعذب أحد في بداية الإسلام كما تعذب بلال .

أبو بكر الصديق يعتق بلالاً رضي الله عنهما

استمر كفار قريش في تعذيب بلال عدة أشهر ، فكان النبيﷺ يتألم وهو يراه يتعذب و يقول لأبي بكر : لو أن عندنا شيئاً لابتعنا هذا العبد . فقام أبو بكر مباشرة وذهب لأمية بن خلف فقال له: " يا أمية ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ إلى متى ستظل تعذبه هكذا؟ فقال أمية: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى ، فطلب أبو بكر شراءه، فقال أتشتريه بسبع أوقيات ؟ فوافق أبو بكر ، فقال أمية : " فواللات والعزى، لو أبيت إلا أن تشتريه بأوقية واحدة لأعطيتك إياه ، فقال أبو بكر: والله لو أبيت أنت إلا مائة أوقية لدفعتها . فأنزل الله الآيات : (فأنذرتكم نارا تلظى * لا يصلاها إلا الأشقى * الذي كذب وتولى * وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكى * وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى * ولسوف يرضى)[الليل : ١٤-٢١]

* لما هاجر النبيﷺ إلى المدينة آخى بين بلال وبين أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما .

قصة مشروعية الأذان في الإسلام

بعد الهجرة إلى المدينة ، أراد الصحابة أن يكون لهم علامة لدخول وقت الصلاة ، فاقترحوا أن يكون لهم ناقوس كالذي عند اليهود الذين يدعون به لصلاتهم ، لكن النبي ﷺ كرهه ، وبينما هم كذلك جاء عبد الله بن زيد الأنصاري للنبي ﷺ ،

فقال : يا رسول الله ، إنه طاف بي هذه الليلة طائف ! ، مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا في يده ، فسألته : يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ فقلت : ندعو به إلى الصلاة ،

قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ فسألته : وما هو ؟ قال :

تقول : الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. << صيغة الأذان

فقال له النبيﷺ : إنها لرؤيا حق ، فأمر بلالًا أن يؤذن بالصلاة لأنه الأندى صوتاً .

وبهذا شرع الأذان .

مؤذنو النبي صلى الله عليه وسلم

بلال بن رباح - ابن أم مكتوم في المدينة- أبو محذورة في مكة - سعد القرظ في قباء .

فضل بلال بن رباح و مكانته في الإسلام

* سأله النبيﷺ "يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة؛ فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة"، قال بلال : ما عملت عملًا في الإسلام أرجى عندي منفعة من أني لا أتطهر طهورًا تامًّا في ساعة من ليل ولا نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي .

* قال رسول اللهﷺ : "نعم المرء بلال، هو سيد المؤذنين، ولا يتبعه إلا مؤذن، والمؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة " .

*كان عمر بن الخطاب يقول : أبو بكر سيدُنا، وأعتق سيدَنا, يقصد بلالًا .

* في يوم فتح مكة، وفي ذلك المشهد المهيب ، نادى النبيﷺ بلالًا ليصعد على كتفي أبي بكر الصديق و عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ليصعد على الكعبة ، وقال له : يا بلال إني أعلم أن هذه الكعبة عظيمة عند الله لكنك اليوم عند الله أشرف منها . فأمره أن يؤذن لأول مرة في مكة .

ثم أخذ النبيﷺ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة _ولم يُسلم بعد _ ثم دخل الكعبة وحطم الأصنام وأمر بلالًا أن يصلي معه داخلها ، فلما خرج أعطى المفتاح عثمان بن طلحة ليكون هذا المفتاح مع بني شيبة إلى قيام الساعة .

في غزوة بدر لمح بلال أمية بن خلف ، فصاح قائلا : رأس الكفر ، أمية بن خلف ،، لا نجوتُ إن نجا . فطعنه طعنة صرخ منها أمية صرخة سمعها كل من في الغزوة .

حياته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

بقي بلال مؤذن النبيﷺ لـ عشر سنوات . فلما مات النبي ﷺ ، أذن بلال، فلما وصل لـ " أشهد أن محمدا رسول الله " لم يستطع أن يكمل ، فبكى و أبكى الناس ، فطلب من أبي بكر أن يعفيه من الأذان ، فوافق أبو بكر ، ثم طلب منه أن يرحل عن المدينة ، فرفض أبو بكر ، فقال بلال : إن كنت قد أعتقتني لنفسك فليكن ما تريد ، وإن كنت أعتقتني لله فدعني وما أعتقتني له ، فقال أبو بكر : بل أعتقتك لله يا بلال .

فخرج من المدينة مسافراً إلى الشام حيث بقي مرابطا ومجاهدا ، فشارك في جيش فلسطين و فتح بيت المقدس .

وعندما زار أمير المؤمنين عمر-رضي الله عنه- الشام ، طلب من بلال أن يؤذن لصلاة واحدة ، فصعد بلال وأذن, فبكى الصحابة الذين كانوا قد أدركوا النبيﷺ ، وكان عُمَر رضي الله عنه أشدهم بكاءً .

وفاته

لما حضرته الوفاة بكت امرأته وقالت : واحزاناه! فقال : لا تقولي واحزناه ! بل واطَرَباه ! فغدًا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه .

توفي بدمشق سنة ١٨ أو ٢٠ هـ ، وعمره ٦٣ سنة أو أقل بقليل . رضي الله عنه و أرضاه .

الإمام أبي حنيفة النعمان

اسمه و مولده

النعمان بن ثابت بن النعمان المرزبان ، ولد في الكوفة سنة ٨٠ هـ . لم يكن عربيّاً، قيل أنه من أصول فارسية ، و قيل أنه من بلدة كابل من أفغانستان .

قصة زواج والد الإمام أبي حنيفة

خرج ثابت بن النعمان يوماً يمشي في الكوفة ، فشعر بالجوع ، ووجد أمامه بستاناً ، فأكل تفاحة منه ، ثم أراد أن يعتذر من صاحب البستان ، فطرق عليه الباب و أخبره بما حدث ، فسأله : هل استأذنتنا قبل أن تأكلها ؟ فقال : لا ! ، فقال : والله لا أسامحك بل أنا خصيمك يوم القيامة عند الله. توسل ثابت إليه كثيرا بأن يسامحه ، فبدأ يفكر صاحب البستان ، ثم قال : إنني مستعد أن أسامحك الآن لكن بشرط! وهو أن تتزوج ابنتي ، ولكن اعلم أنها عمياء، صماء ، بكماء ، و أيضاً مقعدة لا تمشي، فإن وافقت عليها سامحتك ! ، فقبل ثابت بزواجها ، فلما عقد عليها رآها ، فكانت فتاة جميلة ، ترى و تسمع و تتكلم ! فلم يصدق ثابت ما رآه ، فسألها عن ما قاله له والدها ، فأجابته : إنني عمياء من النظر إلى الحرام، وبكماء من الكلام الحرام، وصماء من الاستماع إلى الحرام، ولا تخطو رجلاي خطوة إلى الحرام ! فسُرّ ثابت كثيراً بها ،فدخل عليها و بعد عام أنجبت لنا الإمام الفقيه " أبا حنيفة " .

نستنبط بعض الفوائد من هذه القصة

-لا عيب في أن تخطب لـ ابنتك من تراه مناسباً لها.

- أن الحلال يُخرج لك من أهل بيتك صلاحاً دون أن تشعر .

نشأته

نشأ أبو حنيفة يتيمًا ، قيل إن أباه مات عنه في صغره ، وقيل مات بعدما بلغ ١٨ عام ، كان تاجراً يعمل مع أبيه في محل صغير لبيع الأقمشة ،ومن ذكاء أبي حنيفة استطاع أن يطور ذاك المحل الصغير ليصبح أكبر محل لبيع الأقمشة في العراق .

* قيل إنه من التابعين لأنه التقى بعدد من الصحابة منهم أنس بن مالك ، و أبو الطفيل عامر بن واثلة .

موقف بمثابة نقطة تحول في حياة أبي حنيفة

في أحد الأيام التقى أبو حنيفة بـ عامر الشعبي الفقيه الكبير ، فسأله الشعبي : على من تختلف من الأساتذة العلماء ؟ فردّ أبو حنيفة : ليس لي في العلم شيء ، فقال له عامر _ نظراً لما لمحه فيه من الذكاء ورجاحة العقل _ : إني أراك شابا ذكيا ذا همة ، ولو اختلفت على أحد من العلماء لأصبحت عالماً . فأوصاه بمجالسة العلماء والنظر في العلم، فغيرت تلك المقولة مسار حياة أبي حنيفة واستجاب لرغبته وانصرف بهمته يبحث عن أكبر أهل العلم ليتعلم على يده ، فسأل عن علوم القرآن ، والحديث ، والتفسير ، و المنطق ، والشعر ، إلى أن أستقر على علم الفقه ،فرجع إلى عامر ليخبره بذلك ، فقال له : ذاك ما أردته لك .

ولعل الله استجاب لدعوة علي بن أبي طالب حينما ذهب إليه أحد أجداده و دعا له بأن يخرج الله من صلبه من يحفظ الدين .

شيوخه

تلقى أبو حنيفة علمه عن شيخ الكوفة حماد بن أبي سليمان الذي اقترح عليه أن يجمع بين التجارة و العلم ، فقد كان يعطيه ثلاث مسائل فقهية يومياً ، وبعد ثلاث سنوات أصبح أبو حنيفة يجلس بجانب شيخه حماد في الحلقة .

لم يكتفِ أبو حنيفة بشيخه حماد فذهب ليتتلمذ على يد الإمام جعفر الصادق أحد أئمة أهل البيت .

بعد مرور عدة أعوام تطلع أبو حنيفة أن يجلس كـ محدّثاً في المسجد و يرأس الحلقة ، ووافته الفرصة حينما اضطر حماد أن يغيب عن الحلقة شهرين ، فجلس مجلس شيخه و عرضت عليه مسائل قرابة الستين مسألة ،و أجاب عنها و كتب أجوبتها ، ولما عاد شيخه حماد عرض عليه الإجابات ، فوافقه في أربعين ، وخالفه في عشرين .

بقي أبو حنيفة مع شيخه حماد و لم يفارقه حتى مات . و من وفاء أبي حنيفة لشيخه حماد أنه ما استغفر استغفاراً ولا صلى صلاة إلا دعى لشيخه كما يدعو لوالديه وأبنائه ، حتى أنه من وفائه له سمى أحد أبنائه " حماد " .

ألقابه

كان يُطلق عليه الإمام الأعظم ، إمام المسلمين ، إمام الأئمة .

شهادة العلماء له

شهد له معاصروه بنبوغه في الفقه ، و علو منزلته في العلم ، فقد قال عنه الشافعي : الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة .

أصول مذهبه

القرآن ، السنة ، القياس ، الإجماع ، الاستحسان ، العُرف وهو ما تعارف عليه الناس .

* بدأ أبو حنيفة التدريس في الحلقة بعد وفاة شيخه حماد و له من العمر ٤٠ عاماً . واستمرت حلقته ثلاثين عاماً في حياته ، و أربعين عاماً بعد وفاته رحمه الله

*قرر أبو حنيفة إلغاء الفتوى الفردية.

*أعطى المنح الدراسية للطلاب .

* يعد أبو حنيفة أول من نفذ البعثات ، فقد كان تلميذه أبو يوسف ملازما لحلقته ، لكنه رجل فقير ، و في أحد الأيام طلب منه والده أن يترك حلقة أبي حنيفة فهو رجل غني وقادر على أن يعيش عيشة كريمة ، و أن يتجه للعمل في السوق لأنه يحتاج إلى عمل ينفق منه على نفسه ، وبالفعل ذهب أبو يوسف للعمل في السوق و انقطع عن طلب العلم ، ففقده أبو حنيفة و سأل عنه ، فلما جاءه سأله أبو حنيفة : ما أشغلك عنا ؟ فأجابه : العمل في السوق طاعة لوالدي ، فأعطاه أبو حنيفة صرة فيها ١٠٠ درهم ، و أمره أن يلزم الحلقة ، فأصبح أبو حنيفة يتعهده بإعطائه المال حتى يتفرغ لطلب العلم .

و بعد هذا الموقف استمر أبو يوسف في تلقي العلم عند أبي حنيفة حتى أصبح صاحب منصب قاضي القضاة في عهد هارون الرشيد .

من تلاميذه

كان أبو يوسف من أبرز تلاميذ أبي حنيفة ، يتصف بالذكاء الحاد و قوة الملاحظة و سرعة الحفظ . في أحد المرات تطلع أبو يوسف أن يرأس حلقة بجوار شيخه أبي حنيفة ، فتركه شيخه ٣ أيام حتى قرر أبو حنيفة أن يبين لأبي يوسف أنه مازال طالبا للعلم، فأرسل أحد طلابه للجلوس في حلقة أبي يوسف وأن يطرح عليه مسألة فقهية ، فقال له : اذهب إلى أبي يوسف و أسأله ما تقول في رجل دفع إلى خياط ثوبًا ليقصره بدرهم، فسار إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له الخياط : ما لك عندي شيء! و جحده !! ، ثم إن صاحب الثوب رجع إليه، فدفع إليه الثوب مقصورًا، أله أجرة ؟ " فإن قال: له أجرة، فقل: أخطأت، وإن قال: لا أجرة له، فقل: أخطأت، فسار إليه، فسأله، فقال أبو يوسف: له الأجرة، فقال له: أخطأت، ففكر ، ثم قال: لا أجرة له، فقال له: أخطأت، فقام أبو يوسف من ساعته، فأتى أبا حنيفة، فقال له: ما جاء بك إلا مسألة الخياط ، قال: أجل، فقال أبو حنيفة : سبحان الله من قعد يفتي الناس، وعقد مجلسًا يتكلم في دين الله، وهو لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإيجارات !! فقال: يا أبا حنيفة علمني، فقال: إن كان قصّره بعد ما غصبه فلا أجرة له؛ لأنه إنما قصره لنفسه، وإن كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجرة؛ لأنه قصره لصاحبه . ثم قال له أبو حنيفة : يا أبا يوسف من ظن أن يعمل وقد استغنى عن الناس فليبكِ على نفسه !! .

* يُعد الإمام أبو حنيفة أول من أسس الفقه ، و أول من وضع تبويباً للكتب مثال : باب الوضوء ، باب الصيام .. الخ .

منهج الإمام أبو حنيفة في البحث

يعتمد على منهجه بشكل أساسي على كتاب الله ، فإن لم يجد فيه ما يريد يأخذ بسنة رسول الله ﷺ، فإن لم يجد فيها ، يأخذ بقول الصحابة ، و لا يخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى الشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب فإنه يجتهد كما اجتهدوا .

وهذا القدر من أصول التشريع لا يختلف فيه أبو حنيفة عن غيره من الأئمة، فهم يتفقون جميعا على وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة لاستنباط الأحكام منهما، غير أن أبا حنيفة ابتكر نموذجًا منهجيًّا في تقرير مسائل الاجتهاد، وذلك عن طريق عرض المسألة على تلاميذ العلماء في حلقة الدرس ليدلي كلٌّ بدلوه ، من خلال تشكيله لمدرسة الرأي المكوّنه من ٤٠ رجلًا في مختلف التخصصات ؛ القرآن ، الحديث ، اللغة ، الاقتصاد ، الأنساب ...الخ ، فكان يلقي عليهم مسألة مسألة، يقلِّبها ويسمع ما عندهم ويقول ما عنده، وربما يناظرهم شهرًا أو أكثر من ذلك، حتى يستقر أحد الأقوال فيها،ثم يثبتها القاضي أبو يوسف في الأصول.

ولم يقف اجتهاد أبي حنيفة عند المسائل التي تعرض عليه أو التي تحدث فقط، بل كان يفترض المسائل التي لم تقع ويقلّبها على جميع وجوهها ثم يستنبط لها أحكاماً، وهو ما يسمى " بالفقه التقديري وفرض المسائل " ، وهذا النوع من الفقه يقال إن أبا حنيفة هو أول من استحدثه، وقد أكثر منه حتى قيل أنه جمع في مسائل الافتراض أكثر من عشرين ألف مسألة .

* التقى أبو حنيفة في حياته بعدد من صحابة النبي ﷺ منهم الصحابي أنس بن مالك و أبو الطفيل عامر بن واثله رضي الله عنهم ، فتعلم منهم العلم و فتاوى الصحابة .

فسأله يوماً أبو جعفر المنصور : يا نعمان. عمن أخذتَ العلم ؟ فأجابه : أخذته عن أصحاب عمر عن عمر ، و عن أصحاب علي عن علي ، و عن أصحاب عبد الله بن مسعود عن عبد الله بن مسعود .

* أُتهم أبو حنيفة بأنه يقول برأيه على حديث رسول الله ﷺ ، فلما ذهب أبو حنيفة للعمرة لقيه محمد بن باقر أحد أحفاد النبي ﷺ ، فقال له وهو غضبان :

أنت أبو حنيفة الذي غيرت دين جدي!!

قال أبو حنيفة : يا إمام أنت تقول أنني غيرت دين جدك بالقياس والرأي فسوف أسألك عدة أسئلة :-

أيهما أضعف في دين جدك الرجل أم المرأة؟

قال محمد: المرأة

فقال أبو حنيفة : أيهما له الضعف في الميراث الرجل أم المرأة ؟

قال محمد : الرجل

قال أبو حنيفة :فلو كنت أعمل بالرأي وأترك حديث جدك ودين جدك لقلت المرأة أضعف فتستحق ضعف ما يستحق الرجل. لكني لم أقل ذلك لأن حديث النبي مُقَدَّم عندي على رأيي .

ثم سأل أبو حنيفة: أيهما أعظم عند الله الصلاة أم الصيام ؟

قال محمد : الصلاة.

فقال أبو حنيفة : أيهما تقضي المرأة إذا حاضت في رمضان الصلاة أم الصيام ؟

قال محمد : الصيام

قال أبو حنيفة: فلو كنت أجتهد برأيي وأترك حديث النبي لقلت الصلاة أفضل، فتقضي الصلاة ولا تقضي الصيام. لكني لم أفعل ذلك. قلت كما قال جدك، تعيد الصيام ولا تعيد الصلاة .

ثم سأل أبو حنيفة : أيهما أنجس البول أم المني ؟

قال محمد: البول.

فقال أبو حنيفة: أيهما يغتسل منه البول أم المني ؟

قال محمد: المني ،

قال أبو حنيفة: يا إمام ، لو كنت آخذ بالرأي وأجتهد وأترك حديث النبي لقلت البول نغتسل منه و المني نتوضأ منه ، لأن البول أنجس ، فلم أُغَيِّر بالرأي يا إمام .

فقام الإمام محمد بن باقر وقبل رأس أبي حنيفة .

من صفات أبو حنيفة الخُلُقية

التواضع

يذكر أبو حنيفة موقف له مع أحد الحلاقين في موسم الحج ، فيقول : أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكة ، فَعَلَّمَنيها حلاق ، وذلك أنَّني أردْتُ أن أحلق لأخرج من الإحرام، فأتيت حلَّاقًا، وقلت: بِكَم تحْلق لي رأسي؟ فقال الحلاق : هداكَ الله، النُّسُك لا يُشارطُ عليه، اجلس ثم ادفع ما تريد، وكانت هذه مخالفة، لأنّ النسك لا يُشارط عليه، ولا يُساوَم ! ، قال: فَخَجِلْتُ و جلست، غير أنَّنِي جلست منحرفًا عن القبلة، فأَوْمَأ إِلَيّ بأن استقبل القبلة، ففعلْتُ وازْدَدْتُ خجلًا على خجلي، ثم أعطيته رأسي من جانبي الأيسر لِيَحْلقهُ، فقال: أدِرْ شِقَّك الأيمن، فأَدَرْتُهُ، و جعل يحْلِقُ رأسي، وأنا ساكت أنظر إليه، وأعْجب منه! فقال لي : ما لي أراك ساكتًا؟ كَبِّر، فجعلت أُكبِّر حتى قمتُ لأذهب ، فقال: أين تريد؟ فقلتُ: أريد أن أمضي إلى رحلي، فقال: صلِّ ركْعتين ثمَّ امْضِ إلى حيثُ تشاء . فسأله أبو حنيفة متعجباً من أين لك ما أمرْتني به من المناسك؟ فقال : لقد رأيْت عطاء بن أبي رباح يفعله، فأخذْتُ عنه، ووجَّهْتُ الناس إليه، فكان هذا الحلاق تلميذ عطاء بن أبي رباح .

التلطف و حسن التعامل مع الغير

كان هناك شاب يسكن في جوار الإمام أبي حنيفة يشرب الخمر ويغني طوال الليل وهو سكران ويقول: أضاعوني وأي فتى أضاعوا؟ كل يوم على هذا الحال !..

وإذا قام أبو حنيفة لصلاة الفجر يزعجه هذا الشاب، وفي يوم من الأيام قام الإمام أبو حنيفة ليصلي الفجر، فلم يسمع صوت هذا الشاب، فسأل عنه فعرف أنه قد قبض عليه ، لأنه ضبط يشرب الخمر ..

فذهب أبو حنيفة إلى مركز الشرطة ، فشفع له ، و أخرجوه، فأخذه أبو حنيفة ، ولم يتكلم معه كلمة واحدة.. حتى وصل إلى البيت، وحينها قال أبو حنيفة: هل أضعناك يا فتى؟ فقال: لا والله ولا أعود إليها أبداً، يقصد شرب الخمر . يقال أن ذاك الشاب أصبح من أكثر طلاب أبي حنيفة حضوراً لدروسه .

الصبر والحلم على من يشتمه و يسبه

جاء له رجل يتهمه بأنه زنديق ! ، فقال له أبو حنيفة : إن كُنْتُ كما تقول فـ أسأل الله أن يغفر لي ، وإن يكن غير ذلك فـ أسأل الله أن يغفر لك .

كان قوي الحجة، حسن التخلص

دخل عليه يوماً طائفة من الخوارج شاهرين سيوفهم فقالوا : يا أبا حنيفة نسألك عن مسألتين ، فإن أجبت نجوت و إلا قتلناك ! ، فقال : اغمدوا سيوفكم ثم سلوني ، فقالوا : جنازتان بالباب ، إحداهما لرجل شارباً للخمر ، والأخرى لإمرأة حملت من الزنى ، أهما كافران أم مؤمنان ؟ << وكان مذهبهم التكفير، فإن قال مؤمنان قتلوه ،

فقال أبو حنيفة : من أي فرقة كانا ؟ من اليهود ؟ فقالوا : من المسلمين ، فقال : قد أجبتم ! قالوا : هما في الجنة أم في

النار ؟ فقال : أقول كما قال عيسى عليه السلام ، (إن تعذبهم فإنهم عبادك و إن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فتابوا ، و اعتذروا إليه .

المحنة التي واجهت الإمام أبو حنيفة

أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يولي أبو حنيفة منصب القضاء ، فرفض أبو حنيفة وقال له : إني لا أصلح لذلك ، فقال له المنصور : لقد كذبت فأنت تصلح له ، فردّ عليه أبو حنيفة : فكيف يحل لك أن تولي قاضياً وهو كذاب ؟! ، فأمر المنصور بجلده ، فضُرب ١٢٠ ضربة ، و أُدخل السجن ، ومُنع من الفتوى ، فبقي مريضاً في السجن حتى أُطلق سراحه ، وفي بيته سأله أهله يستفتونه في مسألة ، فرفض الفتوى طاعةً لولي الأمر .

وفاته

قبل موته أوصى أن لا يُدفن في مقبرة أبي جعفر المنصور لأنها مغصوبة ، توفي سنة ١٥٠ هـ و صلى عليه أكثر من ٦٠ ألف رجل .

تنويه لعدة مسائل

-أكثر مذهب مُتّبع في العالم هو المذهب الحنفي .

-الإمام أبو حنيفة لم يؤلف كتباً ، بل جاء طلابه من بعده و دونوا الكتب .

-مات أبو حنيفة ولم يعلم بأنه سيكون له مذهب يُتّبع .

الامام مالك بن أنس

اسمه و نسبه

مالك بن أنس بن مالك الأصبحي ، جده مالك من كبار التابعين و علمائهم ، وهو من كان يكتب المصاحف في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومن الأربعة الذين حملوا عثمان بن عفان رضي الله عنه ليلًا إلى قبره .

مولده و نشأته

ولد في المدينة عام ٩٣ هـ في نفس العام الذي توفي فيه الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه ، و نشأ في المدينة بين أسرة عُرفت بالعلم و رواية الحديث، فقد كان والده و ثلاثة من أعمامه (أويس ، الربيع ، نافع) كلهم علماء ، كما كان للإمام مالك أخ اسمه النضر سبقه في طلب الحديث وكان ملازمًا للعلماء يأخذ عنهم العلم ، حتى أن الإمام مالك كان يُعرف بـ أخي النضر لشهرة أخيه . ولذلك لم يكن غريبًا أن يتجه الإمام مالك في أول نشأته إلى العلم والرواية .

يذكر الإمام مالك قصة اتجاهه إلى طلب الفقه فيقول

كان أخي النضر في سن أبي شهاب الزهري ، فألقى أبي يومًا علينا مسألة فقهية فأصاب أخي و أخطأت ، فقال لي: - ألهتك الحمام عن طلب العلم . فغضبت ، وانقطعت إلى ابن هرمز (الفقيه) سبع سنين ، لم أخلطه بغيره من الفقهاء ،
وكنت أجعل في كمي تمراً، و أناوله صبيانه، و أقول لهم إن سألكم أحد عن الشيخ فقولوا إنه مشغول ، وذلك حتى ينفرد مالك به ويتلقى العلم منه .

* عدد من علماء التابعين قالوا إن الإمام مالك هو الذي بشَّر به النبي ﷺ بقوله:
(يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل فلا يجدون أعلم من عالم المدينة) .

تشجيع أمه له في طلب العلم

كانت أمه عالية بنت شريك امرأة أزديه، عاقلة ، حكيمة ، أحسنت تربية ابنها و حثه في طلب العلم . فقد كان مالك في أول نشأته يحب الغناء و يذهب للمغنين ، فلم يعجبها ذلك ، فقالت له : يا مالك إن الناس لا يذهبون للمغني إلا إذا كان وسيمًا ، و ذا صوت جميل ! ، وإني أوصيك أن تذهب إلى العلماء و الفقهاء و تأخذ العلم منهم . ثم اشترت له لباس العلماء في المدينة و ألبسته إياه ، و قالت له : اذهب إلى ربيعة الرأي في المسجد و تعلّم من أدبه قبل علمه !.

شيوخه

تلقى الإمام مالك الفقه و السنة عن شيوخ كثيرين منهم : عبد الرحمن بن هرمز وهو من كبار العلماء الذين كانوا يدافعون عن السنة في المدينة ، و قد لازمه " مالك " لعدة سنوات ، قيل ٧ سنوات ، وقيل لمدة ١٣ سنة ، يأتيه صباحاً ليتعلم حديث رسول الله ﷺ ولا يخرج من عنده إلا مساءً . كما أخذ مالك العلم عن نافع بن عمر ، وابن شهاب الزهري ، و ربيعة الرأي .

* لما بلغ الإمام مالك عشرين عاماً ، جلس للإفتاء بعد أن شهد له سبعون شيخاً من أهل العلم و أكابر الفقهاء .

مكانته العلمية

يعد الإمام مالك وعاءً من أوعية العلم ، يروي و يفتي و يسمع قوله ، لم تتوقف حلقته لمدة ٧٠ عاماً . ارتحل الناس إليه من كل بلد ، فكانوا يزدحمون عند بابه لطلب العلم و الاستفادة منه لتمام ثقتهم بعلمه ، لأنه تلقى العلم عن ٩٠٠ عالِم ، كما تلقى الحديث عن ٧٠ شخص كلهم رووه عن الصحابة . وكانوا يقولون : لا يُفتى و مالك في المدينة .

انتشر مذهبه في مصر و المغرب و الأندلس وغيرها من البلدان .

قيل أنه لم يُسمع في مجلسه لغوٌ ، ولا مراءٌ ، ولا جدالٌ ، بل كان مجلس وقار و حلم.

تعظيمه لحديث النبي صلى اللّه عليه وسلم

كان الناس إذا أتوا الإمام مالك خرجت إليهم جاريته فتقول لهم: يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل ؟ فإن قالوا المسائل خرج إليهم، وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس أحسن ثيابه ، و إذا سئل عن ذلك ، قال : أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث به إلا على طهارة .

أثر الإمام مالك و منهجه في التدريس

كان منهجه في التدريس و الفُتيا أنه لا يفتي إلا بما يعلم ، و لا يتحرج أن يقول " لا أدري " فيما لا يعلم ، وكان لا يسارع في الإجابة خوفاً من الوقوع في الخطأ ؛ تهيباً من أن يحكم أو يفتي في دين الله بالهوى ، ولَّما سئل عن مسألة ولم يُجِب ، قيل له إنَّ المسألة خفيفة ! فغضب وقال : ليس في العلم شيء خفيف ، فـ الله تعالى يقول : { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} ، فالعلم كله ثقيل، وخاصة ما يُسأل عنه يوم القيامة .

مظهر الإمام مالك و أخلاقه

كان الإمام مالك حسن الصورة ، شديد البياض (أشقر)، أزرق العينين ، يعتني بمظهره، و بأثاث منزله وبملبسه، فلا يلبس إلا أجود الثياب، ويعنى بنظافتها وتنسيقها .
كما كان حريصاً أن يكون قريباً من تلاميذه ، فمن كرمه كان يقيم لهم وليمة كل أسبوع ، فإذا سُئل عن ذلك يقول : { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } ويقول أيضاً : " إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده " .

تلاميذه

الإمام الشافعي من مكة ، يحيى بن يحيى من الأندلس ، أسد بن الفرات من تونس
شبطون من أسبانيا ، ابن الأشهب من مصر ، العقيقي من فلسطين
أبناء الخلفاء من بغداد .: بعض من شيوخه وهم
الزهري - يحيى بن سعيد الأنصاري - سفيان بن عيينة .

صفات الإمام مالك

الإخلاص

كان إذا صلى يضع قطعة قماش ليسجد عليها حتى لا يؤثر الحجر على جبهته فيظن الناس أنه من أهل قيام الليل !! . و لشدة حرصه وإخلاصه كان يتأنى في الفتوى ولا يسارع إلى الإجابة ، فإذا سُئل عن المسألة، قال للسائل: انصرف حتى أنظر، فينصرف، ويتردد فيها ، ولا يفتي في مسألة بحلال أو حرام إلا إذا كان هناك نص صريح صحيح .

وكان يقول لطلابه : لا تكتبوا عني كل شيء ، فإنما أنا بشر أُخطئ و أُصيب .

كان ذا وقار و هيبة

* مُهاباً من الخلفاء، لما جاء هارون الرشيد للحج طلب من الإمام أن يأتيه ليسمع منه ابناه الأمين و المأمون،فأبى الإمام مالك،وقال له : أعز الله أمير المؤمنين إن هذا العلم منكم خرج ،فإن أنتم أعززتموه عزّ، و إن أذللتموه ذُلّ،والعلم يؤتى ولا يأتي . فأمر هارون ابنيه بالخروج ليسمعا منه، فقال مالك : بشرط أن لا يتخطيا رقاب الناس ، و يجلسا حيث ينتهي بهما المجلس .

* يقول سعيد بن هند :ما هبتُ أحداً هيبتي من عبد الرحمن الداخل، فدخلت على مالك بن أنس فهبتُه وضاعت هيبة الداخل .

* عبد الله بن وهب تتلمذ عنده ٢٠ سنة ، تلقى علمه في ١٩ سنة ، وبقي عنده سنة إضافية حتى يكتسب وقاره و هيبته .

كان عزيز النفس يقبل هدايا الخلفاء بشرط أن لا يُذلّ بها .

كان الإمام مالك شديد الحفظ

يروي موقفاً له مع أستاذه ابن شهاب فيقول : كان ابن شهاب إذا جلس ، يحدث ثلاثين حديثا. و كُنْتُ إذا حدّث عن رسول الله ﷺ ، أعقد عقدة بخيط حتى أعرف من عدد العقد عدد الأحاديث و ما علق بذاكرتي منها . فحدّث يوماً و عقدتُ عقدا لحديثه، فنسيتُ منها حديثا، فلقيته، فسألته عنه، فقال : - ألم تكن في المجلس ؟!! فقلت : - بلى ، فسألني : - فما لك لم تحفظ؟ فأجبته : - إنما ذهب عني منها واحد. فقال: -لقد ذهب حفظ الناس !! ما استودعتُ قلبي شيئاً فنسيته ! هات ما عندك ، فأسمعتُه ما حفظت، فأنبأني بالحديث الذي نسيته ، و انصرفتُ عنه ..

مصادر الإمام مالك المادية

تجارته ، عطايا الملوك والخلفاء ، هدايا أقرانه من العلماء .

أبنائه

٣ أبناء : يحيى - محمد - حماد . و ابنة واحدة : فاطمة التي حفظت الموطأ ، فكانت من عالمات الدنيا .

موطأ الإمام مالك

يعتبر من أشهر كتبه ، ويعني التوطئة و التمهيد و التبسيط ، اقترح عليه أبو جعفر المنصور تأليف كتاب في الفقه يجمع الشتات وينظم التأليف بمعايير علمية حدّدها له بقوله : "يا أبا عبد الله ضع الفقه ودوّن منه كتبا وتجنّب شدائد عبد الله بن عمر، و رُخَصْ عبد الله بن عباس، و شوارد عبد الله بن مسعود، واقصد إلى أواسط الأمور، وما اجتمع إليه الأئمة والصحابة "

فاعتمد الإمام مالك في كتابته على الحديث ، ثم أقوال الصحابة ، ثم التابعين ، ثم قوله و كان يرجح قول أهل المدينة .

استغرق في تأليفه ١١ عاما ،كما استشار٧٠ عالماً في تأليفه كلهم أذنوا له . و قام الإمام مالك بتدريسه في ٢٠ عاماً .

قال عنه الإمام الشافعي :

ما ظهر كتاب على الأرض بعد كتاب الله أصح من كتاب الموطأ لـ مالك << يقصد في ذلك الوقت ..

محنته

في العصر العباسي و في عهد أبي جعفر المنصور من عام ١٤٧ هـ ، تعرض الإمام لفتنة عظيمة، فقد خرج عدد من الناس على الخلافة العباسية ، و صادف ذلك أن الإمام مالك كان يفتي في مجلس علمه أنه ليس على المستكره طلاق، وينقل عن ابن عباس أنه قال: " ليس على مستكره طلاق"، و وجد الكائدون و الحاسدون فرصة للكيد من الإمام مالك بإثارة فتنة بينه و بين الخليفة المنصور ، فقالوا لأبي جعفر المنصور: إن مالكًا يقصد بقوله (ليس على مستكره طلاق) أن البيعة لكم لا تنفذ، لأنها وقعت بغير رضا. فأُحضر الإمام مالك و جُلد بالسياط و مُدّت يداه حتى انخلع كتفيه و سُجن ، وكان لذلك وقع شديد في نفوس أهل المدينة وطلاب العلم الذين قصدوه ، فنقموا ذلك الأمر من الحاكمين، وسخطوا عليهم، وغلت النفوس بالآلام منهم . فلما أحس أبو جعفر المنصور بمرارة ذلك الفعل أمر بإطلاق سراح الإمام مالك ، وجاء إليه يعتذر لما علم أنه لم يقصد إثارة أمور سياسية .

وفاة الإمام مالك

كان الإمام يخرج إلى الجمع والأعياد، ويعود المرضى، ويشيع الجنائز... فلما أُصيب بمرض سلس البول لزم بيته ولم يعد يخرج بسب مرضه ، فظن الناس فيه سوءاً ، حتى سأله أحد طلابه عن ذلك ، فأجابه : ليس كل الناس يستطيع أن يتكلم في عذره .

فما زال مريضاً حتى توفي في المدينة المنورة سنة ١٧٩ هـ .

الإمام الشافعي

اسمه و نسبه

محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن سائب القرشي ، يرجع نسبه إلى عبد المطلب ،و يلتقي نسبه مع النبي محمد ﷺ في عبد مناف . قيل أنه لا يستحق الصدقة لأنه من آل البيت . يعتبر أجداده شافع و سائب من الصحابة ,
لم يدخل جده سائب في الإسلام إلا بعد غزوة بدر حينما كان أسيراً عند المسلمين ، فطلب المسلمون منهم الفدية , وهي أن يقوموا بتعليم المسلمين القراءة و الكتابة << كل واحد من الأسرى يعلم عشرة من المسلمين , فكان من ضمن من تعلم منهم الصحابي زيد بن ثابت أحد كتّاب الوحي . فلما رأى حُسن المعاملة من المسلمين أعلن إسلامه .

* السبب في انتساب الإمام الشافعي لجده شافع هو لأنه ولد في الإسلام و مات على الإسلام .

* أمه هي فاطمة بنت عبدا الله الأزدي من الأزد من اليمن، كانت عاقلة ذكية فكان الشافعي هو ثمرة جهود تلك المرأة الفاضلة .

مولده

ولد في غزة عام ١٥٠ هـ في نفس العام الذي مات فيه الإمام أبو حنيفة .

نشأته

نشأ الإمام الشافعي فقيراً ، فقد كان والده فقيرا ، و لشدة فقره قرر أن يهاجر مع زوجته إلى فلسطين بحثاً عن الرزق، لأنها كانت بلدة مليئة بالنعم والخيرات ، لكنه مات بعد ولادة ابنه محمد بمدة قصيرة _ قيل إنها سنتان _ ، فبقي مع أمه التي رفضت الزواج بعد أبيه ، فاجتمع عليه الفقر و اليُتم و الغُربة ، فاضطرت أمه أن ترجع به إلى مكة حتى لا يضيع نسبه ، ويعيش وسط أعمامه وأقاربه .

الدور العظيم الذي قامت به أم الإمام الشافعي من أجل تعليم ابنها

كانت تقول له : " يا بني مات أبوك ، و نحن فقراء ، وليس لدينا مال ، وإني لن أتزوج من أجلك ، وقد نذرتك للعلم لعل الله أن يجمع بك شمل هذه الأمة " . ولكن لفقرهم لم يكن لديها مال لترسله إلى الكُتّاب، لكن لثقتها بالله وحسن ظنها به سبحانه ، أرسلته إلى الكُتّاب ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ القران والتجويد ، لكن المعلم هناك لم يكن يهتم بتدريسه لأنه ليس لديه مال عنده كالبقية، ولم يكن في مقدوره دفع مال ثمن تعليمه، فيعود لأمه حزيناً يشتكي لها ، فترشده بذكائها إلى خطة تحقق له ما يريد، دون أن يدفع الثمن ، فقالت له : يا بني تحايل على المعلم ! فإذا وجدت المعلم يعلم أبناء الأغنياء فاجلس بجوار الغني واستمع دون أن تشعر المعلم بأنك تتطفل عليه ، ففعلها الشافعي عدة مرات بحيث يدخل بأدب فلا يشعر به المعلم، ويستمع حتى يتعلم جميع ما يقوله معلمه ويجيده لأنه كان شديد الحفظ ، ثم إذا قام المعلم يجلس الشافعي مكانه ويشرح للطلاب، وكان عمره خمس سنوات ، فيأتي المعلم فينظر إليه فيجده يعلم التلاميذ، فرسخت فى ذهن المعلم فكرة أن يدعه يتعلم بلا مال، مقابل أن يساعده فى تعليم الطلاب . لكن واجهت الإمام الشافعي مشكلة ، فقد كان لفقره لا يمتلك المال الذى يشتري به الورق الذى يكتب عليه الأحاديث، فأخبر أمه بذلك، فقالت: لا عليك! فكانت تخرج إلى ديوان الوالي لتجمع له الأوراق التي كُتب على أحد وجهيها ورميت فى سلال فيأخذه الشافعي ليكتب على الوجه الآخر، ولكن الورق لم يكن ليكفيه، فأخذته أمه إلى حيث يذبحون الإبل فتأخذ العظام العريضة لأكتاف الإبل وتجففها له ليكتب عليها .

جمعه لشتى العلوم

مكث الإمام الشافعي يتعلم : القراءة ،الكتابةوعلم التجويد.

وحفظ القرآن الكريم فقد كان صوته ندياً ، فتعلم ذلك حتى بلغ سبع سنوات.

كما تعلم :التفسير من شيخه سفيان بن عيينة والحديث من شيخه مسلم بن خالد .

فلما بلغ الإمام الشافعي ١٣ سنة ، كان قد أتقن من العلوم: القرآن والتجويد والحديث والتفسير، ثم سمع الإمام الليث بن سعد يقول: إن من أسباب فرقة الأمة اختلافها على اللغة, حيث كانت الكلمة الواحدة تفهم بمعان مختلفة، فيختلفون في تفسيرها ولو استقاموا على فهم اللغة لاجتمعوا، فمن استطاع أن يجيد التفسير والحديث واللغة يجمع الله به الناس ، ولا توجد اللغة إلا في الصحراء ، فرجع الإمام الشافعي إلى أمه يخبرها بما قاله الليث بن سعد ، فأرسلته إلى الصحراء عند قبيلة هذيل لأنها أفصح قبائل العرب ، ليتعلم منهم اللغة وفصاحة اللسان ، يرتحل معهم إذا ارتحلوا ، و ينزل إذا نزلوا .

فبقي عند هذيل ٤ سنوات تعلم خلالها :

اللغة العربية

علم الأنساب

الرماية

حفظ من الشعر عشرة آلاف بيت

* لما عاد من هذيل قابله شيوخه : سفيان ، و مسلم ، فاقترحوا عليه نظراً لسعة علمه أن يفتي في المسجد الحرام ، فذهب إلى أمه يستشيرها في ذلك ، فأجلت ذلك حتى يتمكن من علم العراق و علم الإمام مالك في المدينة . فطلبت منه أن يحفظ موطأ الإمام مالك ليتمكن من الإلتحاق بحلقته ، فاستطاع حفظه في تسع ليالٍ ، ثم ذهبت لوالي مكة يكتب لابنها خطاباً يشفع له للدراسة مع الإمام مالك ، ولكن لعدم امتلاكهم للمال ، قررت أن ترهن بيتهم في سبيل تعليم ابنها عند الإمام مالك .

لقاء الإمام الشافعي بشيخه الإمام مالك

بعد أن أخذ الشافعي كتاباً معه من والي مكة إلى والي المدينة ،أراد من الوالي أن يذهب معه إلى الإمام مالك ليكون هذا من نوع التوصية ، فقال له وهو متهيب، مالنا ولـمالك !! فهو لن يقبل منا ذلك ! .و بعد إلحاح من الشافعي ، وافق الوالي ، فلما وصلوا لبيت الإمام مالك ، تقدم رجلٌ فقرع الباب، فخرجت جاريته، فقال لها الوالي: قولي لمولاك إني بالباب، فدخلت فأبطأت ثم خرجت، فقالت: إن مولاي يقرئك السلام، ويقول: إن كانت مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب، وإن جئت لتسمع الحديث فسيكون في المسجد ، فقال لها: قولي له: إن معي كتاب والي مكة إليه في حاجة مهمة.

فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي، فوضعته، فإذا بالإمام مالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، فرفع إليه الوالي كتاباً، فلما قرأه رمى الكتاب من يده، ثم قال: سبحان الله! أو صار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوساطات ؟! . فلما تراجع الوالي ، تقدم إليه الشافعي و شرح له حالته بأنه نشأ يتيما فحفظ القرآن ، والحديث ، و التفسير ، وكتاب الموطأ . فلما سمع منه ذلك سأله عن اسمه ، فقال : محمد بن إدريس الشافعي ، فطلب منه مالك أن يقرأ شيئاً من سور القرآن ، وأحاديث النبي ﷺ ، و كتاب الموطأ ، فلما قرأ ما طُلب منه ، وافق الإمام مالك بتدريسه ليس بسبب وساطة الوالي بل لغزارة علمه ، فقال له : إن صحت فراسة مالك فأنت وعاء من أوعية العلم ، يا محمدُ اتق الله، واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن ، فإن الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بالمعصية .

بقي الإمام الشافعي فتره من حياته ملازماً لمجالس شيخه الإمام مالك حتى أنابه على كرسيه لتعليم الناس .

في أحد المرات استأذن الشافعي شيخه مالك أن يتعلم علم أبي حنيفة في العراق فوافق له بذلك ، و دفع له تكلفة السفر ، فانتقل إلى العراق ، و تعلم من كبار طلاب الإمام أبي حنيفة محمد بن الحسن الشيباني و أخذ عنه علم العراق ، كما استفاد من فقه و منهج فقهاء العراق لكنه لم يُطِل مدة بقائه فيها .

رحلة الإمام الشافعي إلى اليمن

عاد الإمام الشافعي من العراق إلى المدينة بعد وفاة الإمام مالك ، فتاقت نفسه أن يعود للعراق ليكمل علم العراق ، ولعدم امتلاكه للمال ، قرر أن يسافر لأخواله في اليمن و يعمل هناك ليجمع المال ، فذهب إلى اليمن ، و تعلم علم الشيعة و بعض الفرق المنحرفة حتى يتمكن من الردّ عليهم و يقيم عليهم الحجة ، كما أنه تعلم علم الفراسة .

فراسة الإمام الشافعي

من طريف ما يُذكر للإمام الشافعي في هذا العلم ، أنه أراد مرة أن يختبر فراسته , فتوقف في إحدى الليالي عند بيت رجل ليرتاح تلك الليلة عنده ، فطرق عليه الباب ، و فتح له رجل , فطلب منه الشافعي أن يضيفه لأنه مسافر، و حين رأى الشافعي ذلك الرجل أدرك أنه رجل بخيل شحيح _ معتمدا على ما تعلمه في علم الفراسة _ فتفاجأ أن الرجل رحّب به ! , و أدخله منزله ! , بل و أطعمه من أفضل الأطعمة ! , و أوجد له أفضل غرفة لينام بها ! , فجعل الإمام يتقلب في فراشه طوال الليل متعجباً كيف خابت فراسته في هذا الرجل!

لكنه لما أصبح و عزم على الرحيل قال الشافعي للرجل من باب رد الجميل : إذا قدمت مكة فاسأل عن الشافعي ، فقال له الرجل وقد بانت حقيقته : أخادِمُ أبيك أنا ؟!! ، فأخرج له ورقة كان قد سجل بها كل ما أعطاه للشافعي ، وطلب من الشافعي أن يدفع قيمتها !! فأعطاه الشافعي ما أراد ، وهو مسرور بأنه لم يكن ليخيب علمه الذي تعلمه .

المحنة التي واجهت الإمام الشافعي

أثناء وجود الإمام الشافعي في اليمن ،خرج العلويون على الخليفة العباسي وكانت الخلافة العباسية ترفض الخروج عليها ،فكان والي اليمن رجلًا شديداً ظالماً ، فأراد الشافعي أن يأخذ بيديه و يمنعه من الظلم بتذكيره بقوله تعالى" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّه" ، فأخذ ذلك الوالي يكيد له بالدس، والوشاية، فاتهم الشافعي بأنه مع العلويين ، و أرسل للخليفة هارون الرشيد في العراق : إن تسعة من العلويين تحركوا، وأن ها هنا رجلًا من ولد شافع المطلبي، يعمل بلسانه ما لا يقدر عليه المقاتل بسيفه. فأرسل الرشيد أن يحضر أولئك التسعة من العلويين مكبّلين ومعهم الشافعي إلى العراق ، فلما قدموا للخليفة ، قتل التسعة، بينما نجا الشافعي لوحده بذكائه و قوة حجته، وشهادة محمد بن الحسن الشيباني له بسعة علمه .

* أثناء بقاء الإمام الشافعي في العراق ، دعاه الخليفة هارون الرشيد و سأله : كيف علمك ؟ سمعت أنك تدعي العلم ! فقال له الإمام : لا أزعم ولا أدّعي العلم ، فسأله هارون الرشيد : كيف علمك بالقرآن ؟ فأجابه : قد حفظته في الصغر ، و علمتُ تفسيره آية آية ، و إن كنت تسأل عن أوله و آخره ، و مكيه و مدنيه ، و ليله و نهاره ، وناسخه و منسوخه، فإني بحرٌ فيه . فقال له هارون : لقد ادعيت علمًا فكيف علمك بالنجوم ؟ فأجابه الإمام : أني لأعرف منها البري من البحري والسهلي والجبلي والفيلق ، فقال هارون : فكيف علمك بأنساب العرب ؟ فأجابه الإمام : إني لأعرف أنساب اللئام قبل أنساب الكرام ونسبيو نسب أمير المؤمنين ، فقال هارون : لقد ادعيت علمًا فهل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين ؟ فذكر الإمام موعظة لطاووس بن كيسان، و وعظه بها ، فبكى هارون ، و أمر له بـ ٥٠ ألفاً ، فما إن وصل الإمام الشافعي إلى الباب حتى فرقها و وزعها .

أثناء بقاء الشافعي في العراق لمدة سنتين ، تزوج و رُزق بولدين ، و تمكن من إكمال علم أبي حنيفة ، كما ألّف ١٤٠ كتاباً ! منها كتابه الشهير الرسالة .

عودة الشافعي إلى مكة

لما رجع الإمام الشافعي إلى مكة ، استُقبِل استقبالًا كبيراً ، فطُلب منه للمرة الثانية أن يجلس للفتيا ، فوافق لأنه أصبح مؤهلًا للفتوى فقد استطاع أن يكمل علم المدينة و علم العراق ، و جلس في المسجد الحرام عند بئر زمزم << في نفس المكان الذي جلس فيه الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنه , فشرب من ماء زمزم و قال : والله لقد كنا نشرب ماء زمزم للعلم فتعلمناه ، ولو أننا شربناه لتقوى الله لكان أفضل ! .

فبقي الإمام الشافعي في مكة تسع سنوات . ثم عاد بعدها إلى العراق و أقام فيها أشهر .

رحلة الإمام الشافعي إلى مصر

* وصل الشافعي مصر قادما من العراق، سنة ١٩٩ هـ ، وله من العمر ٥٠ عاماً ، و كان في صحبته بعض تلاميذه منهم الربيع بن سليمان .

* نزل الإمام ضيفاً على عبد الله بن الحكم و كان مالكي من أصحاب الإمام مالك.

* ألقى دروسه و نشر علمه في مسجد عمرو بن العاص ، و جذبت فصاحته و علمه كثيراً من أتباع الإمامين أبي حنيفة و مالك .

* ألّف كتاباً بلغة سهلة حتى يفهمه الناس .

* غيّر في كتابه الرسالة ولم يُبقِ منه إلا ٢٠ مسألة.

*وضع منهجه الجديد:

و سبب ذلك أنه رحمه الله تجدد له من العلم بالنصوص و وجوه دلالاتها ما لم يكن عنده من قبل، وضبط من الأصول والقواعد ولاقى من العلماء ممن استفاد منهم ما حمله على تغيير قوله في كثير من المسائل .

و هذا دليل إنصاف الإمام الشافعي ، وتجرده ونصرته للحق رحمه الله ، فهو و غيره من الأئمة لم يتعصبوا لقول قالوه إذا ظهر لهم الصواب في غيره ! .

من مؤلفات الإمام الشافعي

كتاب الرسالة

قام الشافعي بتأليفه في العراق ، و يعتبر هذا الكتاب أول كتاب في أصول الفقه وهو من الكتب الهامة والمفيدة جداً, حيث وضّح فيها الإمام الشافعي أصول الفقه وكيفية استنباط الأحكام ، وكتاب "الرسالة" ألَّفه الشافعي مرتين؛ ولذلك يعدُّه العلماء في فهرس مؤلَّفاته كتابين :

الرسالة القديمة << في العراق

و الرسالة الجديدة << في مصر

يقول المزني أحد محدثي الحجاز : قرأتُ كتاب الرسالة ١٠٠ مرة ، وفي كل مرة أستفيد منه أكثر من المرة التي قبلها !.

كتاب الأم

(القواعد و أصول الفقه التي وضعها في كتاب الرسالة طبّقها في كتاب الأم)

يجمع الكتاب بين دفتيه جميع أبواب الفقه، وهو مرتب على الكتب، وكل كتاب منها عدة أبواب. والشافعي أملى كتابه "الأم" على تلاميذه في مصر بما وصل إليه رأيه في آخر حياته، ويعبر عن المسائل فيه بأنها "مذهب الشافعي الجديد" بعد أن غير اجتهاده في بعض المسائل، ورواه عنه تلاميذه بمصر، وخاصة الربيع بن سليمان المرادي .

من تلاميذه

أحمد بن حنبل ، أبو ثور إبراهيم الكلبي، الحسن الزعفراني.
الربيع بن سليمان، إسماعيل بن يحي المزني .

أخلاقه

الحلم ، الكرم ، التواضع ، التقوى و الورع < كان إذا ذُكر الله في مجلس يبكي بكاء حتى يغمى عليه .

شهادة بعض العلماء له و ثنائهم عليه

* يقول الفضل بن البزار : حججت مع أحمد بن حنبل ، و نزلت في دار معه ، فخرج يوماً أحمد بن حنبل باكراً ، وخرجت أنا بعده ، فلما صليت الصبح ، جئت إلى مجلس سفيان بن عيينة، وبحثت عن ابن حنبل ، حتى وجدته ، عند شاب أعرابي عليه ثياب مصبوغة ، فزاحمته حتى قعدت عند أحمد بن حنبل ، فقلت يا أبا عبد الله تركت ابن عيينة و جئتَ عند هذا الشاب ؟!! فقال لي : أسكت ! ، فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول ، وإن فاتك أمر هذا الفتى ، أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة ،فإني ما رأيتُ أحداً أفقه في كتاب الله مثل هذا الشاب .

* قال عنه الربيع بن سليمان : لو رأيتَ الشافعي ، وحسن بيانه ، وفصاحته لعجبت منه ، ولو أنه ألف هذه الكتب على عربيته التي يتكلم بها معنا في المناظرة لم يقدر أحد على قراءة كتبه لفصاحته و غرائب ألفاظه، غير أنه كان في تأليفه يجتهد في أن يوضح لعامة الناس .

* قال عنه الجاحظ : نظرتُ في كتب النبغة الذين نبغوا في العلم، فلم أرَ أحسن تأليفا من الشافعي، كان لسانه ينظم الدرّ .

مرضه

أصيب الإمام الشافعي بمرض كالبواسير لطيلة جلوسه لتعليم الناس من الصباح حتى المساء ، فقد كان يدخل عليه أهل الشعر فيحدثهم ، ثم يدخل عليه أهل الحديث فيحدثهم ، ثم التفسير .... الخ . ولما ازداد مرضه أراد أن يذهب إلى الإسكندرية ليرابط في سبيل الله في حرب مصر مع الرومان ، فكان يقرأ القرآن أثناء مرابطته . ولما أُعيد إلى بيته طلب من خادمه أن يقرأ عليه شيئاً من القرآن ، فقرأ من آواخر سورة آل عمران ، فلما وصل إلى قوله تعالى:(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ*بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ *) بكى و قال : اللهم لا تضيع أجري و أجر أمي .

وفاته

توفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ ، و عمره ٥٤ عاماً ، وكان أصغر الأئمة الأربعة عمراً .

الإمام
أحمد بن حنبل

اسمه و نسبه

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله . ينتمي إلى قبيلة بني شيبان ، أحد أجداده المثنى بن حارثة ، كان والده محمد بن حنبل جندياً بالجيش العباسي . قيل إن الإمام أحمد ينتسب إلى جده حنبل بن هلال لمكانته و شهرته ، فقد كان والياً على سرخس في العهد الأموي ، كما عُرف جده لأمه بالكرم و السخاء .

مولده و نشأته

ولد في بغداد في شهر ربيع الأول من عام ١٦٤ هـ . نشأ الإمام أحمد فقيراً و يتيمًا ، فقد توفي والده وهو في عامه الأول .

الدور العظيم الذي قامت به أمه في تنشئته

أمه هي صفية بنت ميمون بن عبد الملك بن شيبان ، توفي زوجها في شبابه وهي دون الثلاثين ، فلم تقبل بالزواج بعده رغبة في تربية ابنها أحمد تربية صالحة ، و لفقرهم الشديد عملت خيّاطة لتوفر المال ، حرصت على تعليم ابنها القرآن فحفظه في سن السابعة ، كما كانت حريصة أن توقظه لصلاة الفجر حتى في موسم الشتاء ، فقد كانت تسخن له الماء قبل صلاة الفجر و تلبسه اللباس ، ثم تتغطى بحجابها و تذهب به للمسجد بنفسها خوفاً عليه من الظلمة . و لما بلغ سن ١٧ ، طلبت منه أن يسافر في طلب العلم ، فلما سألها بتعجب عن الزاد ، و الدابة، و الصاحب ! قالت له : صنعت لك خبزاً ، أما عن الراحلة فهي قدميك ! و أما الصاحب فهو الله !.

صفاته الخَلْقية

كان طويلًا ، شديد السمرة , حسن الوجه , لما كبر كان يخضب لحيته بالحناء ,خضابا ليس بالقاني .

من صفاته الخُلُقية

الورع

كان عم الإمام أحمد " عبد الله " يعمل في البريد في ديوان الخليفة ، فطلب من الوالي أن يوظف ابن أخيه أحمد _ وكان حينها غلاماً _في كتابة الرسائل لأنه كان خطاطاً ، وفي أحد الأيام ، خرج الخليفة لبلدة الرقة ، ولم تصل له الأخبار كالعادة ، فاستدعى عبد الله يسأله عن السبب ، فأخبره بأن ابن أخيه هو من يكتبها ، فذهب عبد الله لأحمد يسأله عن الأوراق ؟ فأخبره بأنه رماها في البحر ! فلما سأله عن سبب فعله ؟ أخبره بأنه وجد فيها ظلمًا فخاف من كتابته، لأن الله يقول " ستكتب شهادتهم و يسألون " ، فرجع عمه للخليفة يخبره بما حدث ، فقال الخليفة : تورع هذا الغلام وما تورعنا !.

عزة النفس

كان يرفض أن يأخذ من صديق أو شيخ أو حاكم قرضًا أو هبة بل يعمل في نسخ الكتب و يأخذ أجرته منها .

يروي الشاعر علي بن الجهم هذه القصة :

كان لنا جاراً، فأخرج إلينا كتاباً، فقال: أتعرفون هذا الخط ؟

فقلنا: - هذا خط أحمد بن حنبل ، فكيف كتب لك ؟ !

فقال الجار: كنا مقيمين بمكة عند سفيان بن عُيينة ،ففقدنا أحمد أياماً ، ثم جئنا لنسأل عنه ، فإذا الباب مردود عليه،

فقلت له : ما خبرك ؟

فقال : سُرقت ثيابي !

فقلت له: معي دنانير. فإن شئتها عطاء ، و إن شئتها قرضاً، فأبى أحمد أن يأخذها عطاء و قرضا !

فقلت له : تكتب لي بأجرة ؟ فوافق ، فأخرجتُ ديناراً،

فقال لي: اشتر لي ثوباً و جئني بورق. ففعلت، وجيئته بورق، فكتب لي هذا الكتاب .

من شيوخه

الإمام الشافعي ، سفيان بن عيينة ، القاضي أبو يوسف ،وكيع بن الجراح ،هشيم الواسطي ، عبد الرحمن بن مهدي يزيد بن هارون.

حرصه في طلب العلم

لزم في بداية طلبه للعلم إماما من أئمة الحديث في بغداد وهو هشيم الواسطي ، واستمر يلازمه نحو أربع سنوات ، فلم يتركه حتى بلغ العشرين من عمره ، فبدأ رحلاته ليتلقى الحديث ، فرحل إلى البصرة ، وإلى الكوفة ، فلما أنهى علم العراق أراد أن يذهب للحجاز ، فسافر لمكة حاجاً لأول مرة وكان عمره ٢٣ أو ٢٥ عاماً ، ولما انتهى من حجته ، جلس في حلقة سفيان بن عيينة ثم ذهب لحلقة الإمام الشافعي .

خرج الإمام إلى الحج خمس مرات ، ثلاثة منها حج فيها ماشيا ، و اثنتين على بغلة ، حتى نوى أن يذهب إلى الحج هو ورفيقه يحيى بن معين ، وبعد الحج يذهبان إلى عبد الرزاق الصنعاني لطلب العلم ، وبينما هما يطوفان طواف القدوم إذا عبد الرزاق يطوف ، فرآه ابن معين وكان يعرفه ، فسلم عليه ، وقال له : هذا أخوك أحمد بن حنبل ، فردّ عليه الصنعاني : حياه الله وثبته ، فإنه يبلغني عنه كل جميل . قال يحيى : نجيئ إليك غدا إن شاء الله حتى نسمع ونكتب . فلما انصرف قال أحمد معترضا : لم أخذت على الشيخ موعدا ؟ قال يحيى : لنسمع منه ، قد أراحك الله مسيرة شهر ، ورجوع شهر ، والنفقة . فقال أحمد : ما كنت لأفسد نيتي بما تقول ! نمضي الآن فنسمع منه ، ثم نمضي معه بعد الحج نسمع منه بصنعاء ، فلما انتهى موسم الحج ذهب إلى صنعاء وقابل الصنعاني و أخذ منه العلم ، فلما عاد إلى مكة وكان على مشارفها ، أُخبر بوجود عالم في اليمن لم يتلقَ منه العلم ، فعاد الإمام أحمد إلى اليمن فأخذ عنه حديثين فقط ! ، ثم رحل إلى الشام ليأخذ علم أهل الشام ، ثم طرطوس ، فما إن بلغ سن ٣٥ سنة حتى تعلم ألف ألف حديث .

استمر في طلب الحديث وروايته حتى بعد أن بلغ مبلغ الإمامة ، فرآه رجل من معاصريه والمحبرة في يده ، فقال له :

يا أبا عبد الله ، أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين ؟! فقال : العلم من المحبرة إلى المقبرة ! .

* قال عنه الإمام الشافعي : أحمد إمام في القرآن ، و الحديث ، و الفقه ، و اللغة ، و الفقر ، والورع ، و السنة .

تلاميذه

أبناؤه صالح و عبد الله - أحمد بن محمد الأثرم - أبو بكر المروذي - أبو بكر الخلال .
* اشتُهِرَ الإمام أحمد بأنه محدِّث أكثر من أن يشتهر بكونه فقيه، مع أنه كان إمامًا في كليهما .

مسند الإمام أحمد

كتب الإمام أحمد هذا الكتاب ليكون مرجعاً للمسلمين وإماماً ، وجعله مرتباً على أسماء الصحابة ، الذين يروون الأحاديث كما هي طريقة المسانيد، بدأ بالعشرة المبشرين بالجنة ، ثم آل البيت ، ثم باقي الصحابة ، فجاء كتاباً حافلًا كبير الحجم، يبلغ عدد أحاديثه أربعين ألفاً تقريباً، تكرر منها عشرة آلاف حديث ، وقد رتب كتابه على المسانيد فجعل مرويات كل صحابي في موضع واحد، بلغ عدد الصحابة الذين لهم مسانيد في مسند الإمام أحمد ٩٠٤ صحابياً . قد يوجد في المسند أحاديث غير صحيحة لكن لا يوجد فيها الموضوع و المكذوب .

زوجاته و أبناؤه

لحرص الإمام أحمد في طلب العلم ، لم يتزوج إلا في سن ٤٠ ، فكانت أولى زوجاته هي العباسة بنت الفضل، وقد عاشت مع أحمد بن حنبل ثلاثين سنة، وأنجبت منه صالحاً ، وقد قال المروذي تلميذ أحمد بن حنبل في شأن العباسة: «سمعت أبا عبد الله يقول: أقامت معي أم صالح ثلاثين سنة فما اختلفتُ أنا وهي في كلمة»، ولما توفيت أم صالح تزوج أحمد زوجته الثانية ريحانة، وأنجبت منه ولداً واحداً هو عبد الله، فلما ماتت أم عبد الله اشترى جاريةً اسمها حُسْن، فأنجبت له زينب ثم توأمين هما الحسن والحسين، فماتا بعد ولادتهما، ثم وَلدت الحسن ومحمداً، ثم وَلدت بعد ذلك سعيداً. وقد نبغ في الفقه من أولاده صالح وعبد الله و كانا من أبرز علماء المذهب الحنبلي .

فتنة خلق القرآن

بداية أحداث فتنة خلق القرآن

لما تولى المأمون الخلافة وكان محباً للعلوم العقلية و كلام الفلاسفة ، قرّب إليه الفلاسفة ، فأصبحوا حاشية له ، وكانوا معتنقين لمذهب الاعتزال ، فتأثر بهم و بفكرهم ، و بدأ يميل إلى قولهم أن القرآن مخلوق ، وحجتهم في ذلك أن كل شيء ما عدا الله فهو مخلوق ، و القرآن لا يمكن إلا أن يكون غير الله ولذلك فهو مخلوق !!، و لكن لم يستطع المأمون أن يعلن ذلك إلا بعد وفاة العالِم يزيد بن هارون بـ ٦ سنوات خوفاً من الفتنة ، وفي عام ٢١٨ هـ عيّن المأمون القاضي أحمد بن أبي دؤاد الذي أشار عليه أن يظهر و يعلن القول بخلق القرآن و يلزم الناس به ، فأرسل إلى نائبه في بغداد إسحاق بن ابراهيم أن يجمع العلماء ، و يسألهم هل القران مخلوق أم كلام الله ؟؟ ومن يقول غير ذلك إما أن يُجلد أو يُقتل !.

فـ انقسم العلماء إلى فرقتين :

*فرقة قالوا بقول الخليفة أن القرآن مخلوق ، من باب " إلا من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان "

* فرقة رفضوا هذا القول لأن الجدل في المسائل العقدية يعتبر بدعة ، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح .

وكان الإمام أحمد يقول : القرآن كلام الله ولا أزيد على ذلك .

أمر المأمون أخاه المعتصم أن يقول للناس أن القرآن مخلوق ، و أن يُشرك إسحاق بن ابراهيم في أمره ، و أن يستشير أحمد بن أبي دؤاد في كل أموره .

لما رأى المأمون إصرار وثبات الإمام أحمد بقوله القرآن كلام الله و ليس مخلوق ، أمر الجنود باستدعائه مع محمد بن نوح مقيدين بالسلاسل إلى الشام, حيث كان الخليفة حينها هناك ، فانطلق الوفد الى الشام, فكانوا يستريحون أثناء المسير ، وفي غياب الجنود إلتقى الإمام بأعرابي ، الذي قوّاه بقوله : يا إمام أنت اليوم رأس المسلمين ، إن قلت ما يقول الخليفة لقالوا الناس بكلامك . فكان كلامه هذا تثبيتاً له على الحق .

فلما اقتربوا من قصر الخليفة ، علم الإمام أحمد من أحد رجال المأمون أن المأمون قد سل سيفا لم يسله قبل ذلك ، و أنه -أي المأمون- قد توعد بقتل الإمام أحمد بالسيف إن لم يقل بخلق القرآن ، فقام الإمام أحمد ليصلي ، ثم أخذ يدعو (اللهم يا سيدي ، غرّ هذا الفاجر حلمك، فإن كُنْتُ على حق بأن القرآن كلامك ، فاكفينيه بما شئت)، و فجأة بدأت أصوات الناس تعلو معلنة وفاة المأمون .

تصاعد أحداث فتنة خلق القرآن

تقرر إرجاع أحمد بن حنبل إلى بغداد ليسجن فيها حتى ينظر الخليفة الجديد في أمره. و في الطريق مرض محمد بن نوح و أحس باقتراب أجله. فأوصى الإمام أحمد على ثبات الموقف لأنه رجل يتبعه الناس و يسمعون قوله ، ثم اشتد عليه المرض ومات رحمه الله، فغسله الإمام أحمد و كفنه و دفنه وحيدا في صحراء العراق ، ثم مضى وهو يبكي ويدعو" اللهم اكفينيهم بما شئت " ، فلم يبقَ من العلماء من يقول بأن القرآن كلام الله إلا هو رحمه الله ، و مضوا في سيرهم والإمام يردد قول يوسف عليه السلام " ربي السجن أحب إلي مما يدعونني إليه " ، فلما وصلوا إلى بغداد ، حُبس الإمام أحمد في إسطبل ، و كان مقيدا بالأغلال، ثم اقتيد الى سجن بغداد .

أخذ المعتصم مكان أخيه المأمون, و كان محاطاً بالمعتزلة, فكانوا وزراءه و حاشيته. و المشهور عن المعتصم اهتمامه بأمور الجيش و لم يكن صاحب علم و فقه . فأمر يوماً باستدعاء الإمام أحمد بن حنبل من الحبس ، فلما حضر الإمام أحمد سأله المعتصم : ما تقول في القرآن؟

فقال: كلام الله، قديم غير مخلوق، قال الله عز وجل: "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله "فقال له: عندك حجة غير هذا ؟فقال أحمد: نعم يا أمير المؤمنين، قول الله عز وجل: "يس والقرآن الحكيم"، ولم يقل: يس والقرآن المخلوق فأمر المعتصم بإعادته إلى السجن ، وفي اليوم التالي أمر المعتصم بإستدعاء الإمام أحمد مرة أخرى ، فجيء به، فلما أن وقف بين يديه قال له المعتصم :

كيف كنت يا أحمد في محبسك البارحة؟

فقال: بخير والحمد لله، إلا أني رأيت يا أمير المؤمنين في محبسك أمراً عجباً !!

قال له: وما رأيت؟.

قال: قمتُ في نصف الليل فتوضأت للصلاة، وصليت ركعتين، فقرأت في ركعة "الفاتحة"، و"قل أعوذ برب الناس"، وفي الثانية "الفاتحة" و"قل أعوذ برب الفلق"، ثم جلست وتشهدت وسلمت، ثم قمت فكبرت وقرأت "الفاتحة" وأردت أن أقرأ "قل هو الله أحد"، فلم أقدر، ثم اجتهدت أن أقرأ غير ذلك من القرآن فلم أقدر، فمددت عيني في زاوية السجن، فإذا القرآن مسجًّى ميتاً، فغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته

فقال له: ويلك يا أحمد، والقرآن يموت ؟؟!

فقال له أحمد: فأنت كذا تقول إنه مخلوق، وكل مخلوق يموت !

فقال المعتصم: قهرنا أحمد، قهرنا أحمد !

فقال ابن أبي دؤاد : اقتله حتى نستريح منه .

فقال المعتصم : إني قد عاهدت الله أن لا أقتله بسيف ولا أمر بقتله بسيف .

مناظرة الإمام أحمد مع المعتزلة

سأل أحد المعتزلة الإمام : كيف تقول بأن القرآن كلام الله و الله ليس كمثله شئ؟

فكيف يكون كلام الله و البشر يتكلمون كذلك ؟

فرد الإمام أحمد : هل البشر يعلمون ؟

فقال : نعم !

فقال الإمام : فهل الله لا يعلم؟ أم أن علم الله مخلوق

قال : نعم , علم الله مخلوق !

قال له الإمام أحمد : يا كافر, أنت كفرت بقولك هذا, فكيف يكون علم الله مخلوقا؟ أفلم يكن لله علم ؟ فقال الامام أحمد: من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر, و من زعم أن علم الله مخلوق فهو كافر .

تعذيب الإمام أحمد بن حنبل

خاف المعتصم أن يزيد التفاف الناس بالإمام أحمد, فأمر بجَلده لعله يغير أقواله. فتقدم الجلادون لضرب الإمام أحمد بالسياط ، فأمر عدد من الجلادين بجلده، و في هذه الأثناء أحاط عامة الناس بقصر الخليفة ينتظرون الأخبار .

لم يزحزح الضرب موقف الإمام أحمد، و أصر على قوله، فغضب الخليفة ،و سأل أحد الجلادين: في كم جلدة تقتله؟ .

فأمره الخليفة بقتله ضربا بالسياط و الإسراع في هذا الأمر. فبدأ الجلاد بالضرب و مازال الإمام صامدا و دماؤه تسيل !.

و كان الشيخ هزيل الجسد ، فطلب أحد الأعيان من الخليفة أن يرأف بالإمام أحمد، و رجاه أن يكلم الإمام عله يرجع عن قولته، فأذن له الخليفة. تقدم ذاك الشخص ، و أخذ يكلم الإمام أحمد هامساً :

يا أبا عبد الله ، البشرى ، إن أمير المؤمنين قد تاب عن مقولته !!

ففرح الإمام أحمد ، و كبّر ، وهو لا يعلم بحيلة الرجل .

فصاح الرجل : يا أمير المؤمنين إنه قد قال كما تقول !!

فارتفعت الأصوات داخل القصر, حتى ظن الناس في الخارج وقوع مكروه للإمام أحمد ، و هددوا باقتحام القصر. فخاف الخليفة وقوع ثورة ، فأمر بإلباس الإمام أحمد ، و إخراجه للناس حتى يروه سالما. فأطل الإمام من الشرفة, و سأله الناس عما قاله في حضرة الخليفة, فأجاب :

" و ما عسى أن أقول ، اكتبوا يا أصحاب الأخبار ، و اشهدوا يا معشر العامة ، أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ و إليه يعود" ، فكتب الناس و ثبتوا على العقيدة, فغضب الخليفة و أحس بأنه قد خدع ، فأمر بضرب الإمام أحمد مرة أخرى ، فداسته أقدام الجلادين و قلبوه على الأرض حتى فقد وعيه و مازال الضرب ينهال عليه ، ثم أُعيد إلى السجن ، و تم علاج جروحه الغزيرة ، و كانت جروحه بالغة ، حتى أن الطبيب اضطر لقطع اللحم الفاسد من جسده ، فبقيت آثار الضرب مع الإمام أحمد طوال حياته .

بعد أن تعجب المعتصم من قوة صبر الإمام أحمد و إصراره و ثباته على الحق بالرغم من التعذيب الذي لقيه منه و من بطانته ، استدعى إسحاق عمّ الإمام أحمد و عدد من أقاربه وأشهدهم على أنه سليم البدن، وذلك خوفًا من ثورة الناس عليه إن حصل للإمام مكروه بسبب التعذيب ، و أمر بإطلاق سراحه و لكن حكم عليه أن يبقى في بيته ، و يُمنع من لقاء الناس ولا يفتيهم ، ولا يصلي في جماعة المسلمين ، فوافق الإمام وعاد إلى بيته و قد عانى من ذلك التعذيب فلم يستطع أن ينام على ظهره ، كما أنه قد تغيرت ملامح وجهه من شدة الضرب و الجلد . ظل الإمام أحمد بعد خروجه من سجن المعتصم يعالج في بيته فترة طويلة من آثار الضرب والتعذيب حتى تماثل للشفاء . تجمع الناس حول بيته يريدون أن يثوروا على الخليفة فرفض الإمام أحمد لأن له بيعة على رقبته . بقي الإمام في بيته ممنوعاً من مقابلة الناس حتى مات المعتصم ٢٢٧هـ .

في وقت المنع من لقاء الناس ، أراد عالم من الأندلس يدعى بقي بن مخلد الأندلسي أن يطلب الحديث من أعلم أهل الأرض ، فقالوا له أحمد بن حنبل في بغداد ، ولكن لم يكن له المال الكافي للسفر للعراق ، فعمل ٥ سنوات حتى جمعه ، فعندما وصل للعراق عَلِم أن الإمام أحمد ممنوع من مقابلة الناس ، فتحسر كثيراً ، فقرر أن يأخذ العلم من علماء العراق الآخرين ، فدخل المسجد و تنقل بين حلقاته حتى وصل حلقة يحيى بن معين و كان يتكلم عن الرجال ، فتوسل إليه أن يجيبه على سؤاله ، فوافق لكونه ضيفاً قادماً من الأندلس ، فسأله عن الرجال الذين قابلهم ، فزكى بعضهم في الحديث ، و بين مساوئ بعضهم ، إلى أن وصل للإمام أحمد بن حنبل ، فنظر إليه يحيى كالمتعجب ، فقال : ومثلنا نحن نكشف عن أحمد ؟! ذاك إمام المسلمين وخيرهم و فاضلهم . ففكر الأندلسي في مقابلة الإمام، فترقب بيته لأنه محاطٌ بالحرس ، وفي حين غفلة منهم ، طرق عليه الباب و عرفه بنفسه وبمراده ، فاعتذر منه الإمام و أخبره أن يأتي في اليوم التالي بلبس فقير يطلب الصدقة ، وبالفعل أتى إليه ، ففتح له الباب و أعطاه حديثاً و صدقة ، فاستمر على ذلك حتى حفظ ٦٠ ألف حديث ! فلما انتهى حُكم المنع وخرج الإمام لملاقاة الناس ، لازم الأندلسي الإمام أحمد في حلقته حتى أصبح من تلاميذه .

** بالرغم من السجن و التعذيب الذي لقيه الإمام أحمد من المعتصم لمدة ٢٨ أو ٣٠ شهراً ، إلا أنه لم ينتصر لنفسه ! بل سامح المعتصم و عفى عنه ، و أشاد به بعد حادثة " و امعتصماه " و فتح عمورية ، حتى إن أحدهم طلب من الإمام أن يدعو على من ظلمه ، فرفض الإمام قائلًا " ليس بصابرٍ من دعى على من ظلمه !" متأسياً بخُلُق النبي ﷺ و تعامله مع من ظلمه .

فتنة خلق القرآن في عهد الواثق

لما تولى الواثق الخلافة سنة ٢٢٧ هـ ، قرّب إليه الوزير الفاسد ابن أبي دؤاد حتى أثّر عليه ، و صفات الواثق شبيهه بصفات المأمون في العلم والانفتاح ، إلا إنه إذا خاصم فجر !! ، كما كان من محبين الغناء، فقيل إنه لا ينام إلا على سماع الأغاني ، كما كان مهتمًا أيضاً بتلحين الأغاني حتى قيل أنه لحّن ١٠٠ أغنية ! .

سار الواثق على نفس نهج المأمون و المعتصم بقولهم إن القرآن مخلوق . و بعد وفاة المعتصم ظنّ الإمام أحمد أن الحكم بالبقاء في البيت و المنع من مقابلة الناس قد انتهى بمجرد وفاته ، فخرج الإمام من بيته و التقى بالناس ، حتى وصل الخبر للخليفة الواثق عن طريق الحسن بن علي الجعد قاضي بغداد ، فأرسل الواثق للإمام أحمد أن لا يساكنه في أرض ، وبالفعل اختفى الإمام ، و قيل إنه بقي في بيت أحد تلاميذه .

طلب الواثق أن يُحضر إليه كل من يقول أن القرآن كلام الله ، ومن ضمن من أحضروهم الإمام أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي وكان عمره آنذاك ٨٢ سنة ،

فسأله الواثق ما تقول في القرآن؟

فأجاب : كلام الله.

ثم سأله : أفمخلوق هو؟

فأجاب : كلام الله.

ثم سأله : هل يُرى ربك يوم القيامة؟

فأجاب : نعم كما ورد في الرواية.

فقال الواثق : ويحك يُرى كما يُرى المحدود المتجسم ويحويه مكان ويحصره ناظر؟ أنا كفرت بهذا الرب الذي هذه صفاته ؟!! .

فقال القاضي ابراهيم بن إسحاق : هو حلال الدم ، فقال الواثق : إذا رأيتموني قد قمت إليه، فلا يقومنّ أحد معي، فإني أحتسب خطاي إليه ، فمشى إليه وهو في وسط الدار، فربطوه و ربطوا رأسه ، ولما وصل إليه أخرج السيف و قطع رأسه و كبّر ، فقال : علقوا رأسه و اكتبوا عليه :" هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخزاعي، ممن قتل على يدي عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن، ونفى التشبيه وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المعاندة والتصريح، فالحمد لله الذي عجله إلى ناره وأليم عقابه " ، فأمر أن يُعلّق رأسه في مداخل سامراء ولا يجمع بجسده إلا بعد ٦ سنوات ، فلقبّ بالرجل الشهيد .
ثم أمر الواثق بتتبع رؤوس أصحابه ، فاستدعى نعيم بن حماد و البويطي ، فسألهم عن القرآن ؟ فأجابوه : هو كلام الله . فكُبّلوا بالحديد حتى ماتوا و قيل دفنوا به .

المناظرة التي أنهت فتنة القول بخلق القرآن !

حدثت بين الشيخ الإمام عبد الله الأذرمي - ممثلًا للسنة - ، و بين أحمد ابن أبي دؤاد - ممثلًا للمعتزلة

قال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن مقالتك هذه، هي مقالة واجبة داخلة في عقد الدين، فلا يكون الدين كاملًا حتى يقال فيه بما قلت ؟

قال: نعم .

قال الشيخ: أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله هل ستر شيئاً من الدين ؟

قال: لا !

قال الشيخ: فهل دعا رسول الله ﷺ إلى قولك هذا بخلق القرآن ؟

فسكت ابن أبي دؤاد .

فالتفت الشيخ إلى الواثق ، وقال : ياأمير المؤمنين ، واحدة ، فقال الواثق: واحدة

فسأل الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الله تعالى، حين أنزل "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا"، هل كان الله تعالى صادقاً في إكمال دينه أم أنت الصادق في نقصانه حتى يقال بمقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دؤاد.

فالتفت الشيخ إلى الواثق وقال: يا أمير المؤمنين، اثنتان. فقال الواثق: اثنتان

فسأل الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن مقالتك هذه، علمها رسول اللهﷺ أم جهلها ؟

قال ابن أبي دؤاد: علمها .

فسأله : هل دعا إليها الناس ؟

فسكت ابن أبي دؤاد .

فالتفت الشيخ إلى الواثق وقال : يا أمير المؤمنين، ثلاث، فقال الواثق: ثلاث .

فسأله الشيخ: هل علم الخلفاء الأربعة مقالتك أم لا ؟

فأجاب ابن أبي دؤاد: لم يعلموها ..

فقال الشيخ: لم يعلمها الخلفاء الراشدون، فعلمتها أنت ؟!!!

فرد ابن أبي دؤاد: بل علموها .

فقال الشيخ: هل دعوا الناس إليها ؟

ثم قال له : فاتسع لرسول اللهﷺ أن علمها وأمسك عنها كما زعمت ، واتسع لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم أجمعين - أن يمسكوا عن مقالتك هذه. وما اتسع لك أنت!

فأعرض الشيخ عن أبي دؤاد، وأقبل على الواثق فقال: يا أمير المؤمنين، إن لم يتسع لنا الإمساك عن هذه المقالة بما زعم هذا أن لم يتسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فلا وسّع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم .

فقال الواثق: نعم، إن لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون، فلا وسع الله علينا، وأمر بقطع قيد الشيخ الأذرمي .

استمرت فتنة خلق القرآن من عام ٢١٢ هـ إلى عام ٢٣٢ هـ ،حتى مات الواثق .

مبايعة المتوكل بالخلافة في ذي الحجة عام ٢٣٢ هـ

كان المتوكل من أهل السنة ، ويحب أهل السنة ، ولم يُظهر ميوله للسنة إلا بعد سنتين من خلافته ، فاستبشروا الناس به .

و في أحد الأيام أرسل المتوكل رسالة إلى الإمام أحمد بن حنبل مسترشداً :

ماذا تقول في القرآن ؟

فأرسل له الإمام : إني أُدين الله أن كتاب الله هو كلام الله . فكتب المتوكل مرسوماً بأن لا يتكلم أحد و يقول بأن القرآن مخلوق .

أكرم المتوكل المحدثين و الفقهاء و أجزل لهم العطايا . وفي عام ٢٣٧ هـ أمر أن يحضروا له الإمام أحمد بن حنبل وكان عمره وقتها ٧٣ سنة ، فلما دخل سامراء مرض الإمام فأرسلوا له الأطباء ليعالجوه في بيت أشبه بالقصر ، وقدموا له الطعام فلم يأكل منه ، فقالوا له : إن الخليفة يدعوك لتقابل ابنه المعتز لعلك تربّيه ، فامتنع الإمام في بداية الأمرً ثم وافق ، فأجزل المتوكل له الهدايا والملابس ، فلما رجع الإمام إلى بلده فرّق كل ما جاءه من ملابس و أموال وهو يستغفر الله ! .

مرض الإمام أحمد و وفاته

لما أكمل الإمام ٧٧ سنة ، بدأت الحمى تنتشر في جسده ، فزاره الأطباء و الناس ، و من كثرتهم أوقفوا على بابه حراس لتنظيم دخول الناس . فقيل إن الإمام حتى مع شدة الحمى إلا أنه لم يئن لأنه يعتبر الأنين شكوى على الهل !!

ثم أُصيب بحصر البول مع دم أحمر يخرج منه . فكان ابنه صالح بجانبه طيلة مرضه ، فبدأ الإمام يعرق ثم يغيب عن وعيه ثم سمعه يقول (لا ! لا ! لا بعد !) ثم سأله ابنه عن ذلك فقال : هذا إبليس تمثل بجواري فقال لي : لم أستطع أن أفتنك !

فقلت له : لا لا لم أمت بعد ، فما زلت حياً و أخاف أن تغويني ! .

وفي يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول عام ٢٤١ هـ ، نطق الشهادة وفاضت روحه إلى بارئها و عمره ٧٧ سنة و عدة أيام ، فخرج ابنه و بلّغ الناس ، ثم غسّله ، وخرجوا بجنازته من صلاة العصر ولم يُدفن إلا بعد العشاء من كثرة المشيعين ، قيل صلى عليه مليونين ، وقيل مليون ، وقيل ٧٠٠ ألف شخص .

وهكذا توفي عظيم القرن الثالث عالم السنة و فقيه المحدثين " أحمد بن حنبل "رحمه الله رحمة واسعة و جمعنا به و بجميع علماء المسلمين و أئمتهم في جنات النعيم .

ختام لقاءات

برنامج

ورثة الأنبياء

عدة نقاط موجزة متعلقة بالبرنامج

الهدف من برنامج ورثة الأنبياء

١- ذكر القيم و الأخلاق على هيئة قصص لتثبيت الأفئدة لأن البشر بطبيعتهم يحبون سماع القصص .

٢- محاولة إصلاح بيوت فسدت بسبب المشاكل و الاختلافات ،والسعي في جمعها و حمايتها من الشتات .

٣- تقليل نسبة الطلاق .

٤-نشر الهدوء و الطمأنينة في بيوت المسلمين .

٥- نشر أسلوب الحوار بين الزوجين ، بين الأبناء مع والديهم ، بين المعلم و طلابه .

لمحة عن الأئمة الأربعة من حيث الأصول

* اثنان من أصول عربية، أحدهما الشافعي فهو قرشي، ومن نسب النبي صلى الله عليه وسلم،

والآخر أحمد بن حنبل من بني شيبان، وهي قبيلة عربية معروفة .

* و اثنان من أصول غير عربية، أحدهما: أبو حنيفة ، فأصله فارسي، والآخر الإمام مالك ، يقال إن أصله من الموالي .

وهذه نقطة مهمة في مبدأ التعايش، فقبل الإسلام لم يكن العربي يقبل أن يتبع أحدًا من غير العرب، لكنه الإسلام دين المساواة .

لمحة عن الأئمة الأربعة من حيث الوضع الاجتماعي المالي

*اثنان منهم أغنياء ، وهما الإمام أبو حنيفة ، و الإمام مالك ،

*و اثنان فقراء ، وهما الإمام الشافعي و الإمام أحمد .

يقال إن الناس إذا دخلوا حلقة الأئمة الأغنياء ، وجدوا الفقراء في أول الحلقة . كما أن الشافعي و أحمد بن حنبل من الفقراء، ومع ذلك يتودد لهما الملوك والأمراء !.

جميع الأئمة الأربعة اشتركوا في الصفات الخُلُقية من الصدق و الأمانة و تقوى الله عز وجل .

رسائل و توجيهات عامة

رسالة للمسلمين عامة

افتخروا و ارفعوا رؤوسكم و اشمخوا بتاريخكم الاسلامي ، لأن تاريخنا عظيم و عريق ، افتخروا بنبيكم ﷺ و بالخلفاء الراشدين و بالصحابة رضوان الله عليهم ، و بورثة الأنبياء علماء المسلمين .

رسالة للشعراء و المنشدين

إنتقاء الكلمات الهادفة القيمة أمر مهم ، سخّروا ألسنتكم و أصواتكم في الخير و فيما يرضي ربكم ، اختاروا الكلمات التي تشهد لكم يوم القيامة ولا تشهد عليكم .

رسالة لكل من يكتب في مواقع التواصل الاجتماعي و غيرها

وما من كاتب إلا سيفنى # ويبقي الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء # يسرك في القيامة أن تراه

رسالة إلى شباب المسلمين

لا تشوّه صورة الإسلام بتطرفك و إرهابك للآخرين ، إعلم أن الحق أبلج و الباطل لجلج .

(وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ*إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) (الإسراء ٨١)

(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ*وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) (الأنبياء:١٨)

** القرآن : هو معجزة الإسلام الخالدة كل نبي من الأنبياء له معجزة خارقة تحدى بها قومه عيسى عليه السلام اشتهر قومه بالطب ، فكان عليه السلام يبرئ الأكمة و الأبرص بإذن الله ،موسى عليه السلام اشتهر قومه بالسحر ، فجعل الله العصا معجزة لنبيه موسى عليه السلام .

النبي محمدﷺ اشتهر قومه بالفصاحة ، فجعل الله القرآن بفصاحته و بلاغته معجزة لنبيه محمدﷺ .

استشعر و أنت تقرأ القرآن أن الله يخاطبك ، فـ أنت إذا طبقت ما تقرأه في القرآن أصبحت عظيمًا ، فهذا القرآن هو الذي أبكى جبابرة الأرض في وقتهم مثل : النجاشي ، و الوليد بن مغيرة ، و أبو سفيان ، و أبو جهل , قال تعالى :(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) .

ركن الحج من العبادات المرتبطة بالأسرة

لما ترك ابراهيم عليه السلام زوجته هاجر و ابنه اسماعيل في مكة استجابة لأمر الله ، وكانت آنذاك وادياً غير ذي زرع ، دعا ربه (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) ، ولما نفذ الماء والزاد، و ازداد صراخ الطفل جوعاً و عطشاً ، أسرعت الأم و صعدت على جبل الصفا، لتنظر أحدًا ينقذها هي وطفلها من الهلاك، أو تجد بعض الطعام أو الشراب. ولكنها لم تجد شيئاً ، فنزلت

و صعدت جبل المروة، و فعلت ذلك سبع مرات حتى تمكن منها التعب، فبعث الله جبريل -عليه السلام- ليضرب الأرض بجناحه؛ فخرج الماءٍ بجانب الصغير، فأسرعت الأم ، وجعلت تجمع الماء بقولها " زُمّي زُمّي " ، فسمي الماء ب زمزم ، وكان سببا لقدوم البشر في تلك البقعة المباركة .

أيضاً شعيرة الأضحية ارتبطت بتلك الأسرة

عندما رأى إبراهيم عليه السلام، في المنام أن الله عز وجل يأمره أن يذبح ولده، ومعلوم أن رؤيا الأنبياء وحي"فلما بلغ معه السعي قال يا بنيّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى"فامتثل إبراهيم عليه السلام لأمر ربه واستجاب له ، ثم اتجه إلى ابنه إسماعيل، وعرض الأمر عليه، فردّ عليه ابنه" قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين" ، ولما حانت اللحظة الحاسمة ، أضجعه على الأرض، والتصق جبين إسماعيل عليه السلام بالأرض، وهمّ إبراهيم أن يذبح ابنه " فلما أسلما وتلّه للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم، قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم "

ولكنّ السكين لم تقطع بإرادة الله عز وجل، عندها فداه الله عز وجل، بكبش عظيم من الجنة، أبيض الصوف ، ذي قرنين كبيرين . وهكذا أصبحت الأضحية سنة سيدنا إبراهيم عليه السلام للمسلمين كافة .

** من لم يفلح في حياته ، فليراجع صلاته !! : فعند الوضوء استشعر بأنها طهارة داخلية و خارجية ، فمن المؤلم أن تطهر بدنك فقط ، أما قلبك فتتركه مليء بالذنوب ! ، ثم توجه بقلبك إلى القبلة وليس بجسدك فقط ! ، فإذا بدأت الصلاة كبّر بتحقيق و إقرأ بترتيل ، و اركع بخضوع ، و اسجد بخشوع وإذا سلّمتَ فسلم على أمل أن تُقبل صلاتك و أنك ستصلي مرة أخرى .

رسالة إلى الأيتام

اصبروا و ادعوا لوالديكم ، فلكم في رسول الله ﷺ مثل عظيم .

رسالة لمن تأخر عنهم الإنجاب

لا تيأسوا من روح الله ، و أكثروا من الصلاة و الدعاء .

رسالة للإخوان و الأخوات

كونوا قريبين من بعضكم رحماء بينكم .

رسالة للطلاب و الطالبات

لا يكن همكم الدرجات و الشهادة فقط ، بل الحرص على طلب العلم ، فهؤلاء ورثة الأنبياء أفنوا أعمارهم بحرصهم في طلب العلم رغبة فيه .

رسالة إلى الفتيات

لا تغتري بمشهور أبداً ، فقد ترين منه ظاهراً جميلا، وربما يكون باطنه سيئاً !. إياكِ أن تَفتني أو تُفتني ، أمركِ ربك ألا تخضعي بالقول { فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفا } فاستجيبي لأمره .

رسالة إلى المشاهير

الشهرة أولها يسّر ، و أوسطها يغُرّ ، و أخرها ربما يضّر !، لذلك استعملها في مرضاة الله ، ولا تبيع دينك بدنياك .

رسالة إلى الإعلاميين

سخّر نفسك في مرضاة الله ، و اعلم أن الإعلام سلاح ذو حدين , فراقب الله في كل شؤونك .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، أنهيتُ بفضل الله ملخصات سلسلة لقاءات برنامج (ورثة الأنبياء) والتي خُصصت للحديث عن الفقهاء الأربعة رضي الله عنهم من خلال التعريف بنسبهم ، و نشأتهم ، و شيوخهم ، و تلاميذهم ، و حرصهم و جهادهم في طلب العلم و تعليمه للناس ، و تحملهم الإبتلاءات و المحن في سبيل الحق و الصبر عليه و أخيراً وفاتهم .

كل ذلك كان في عرض سريع موجز مراعاة للزمن المحدد للبرنامج .

جزى الله فضيلة الشيخ بدر بن نادر المشاري خير الجزاء على ما بذل من وقت و جهد في سبيل نشر حياة هؤلاء الأئمة العظماء و جعلها في ميزان أعماله ، و نفع بما قدم الإسلام و المسلمين .

ختاماً :

هذا جهدي المقل أضعه بين أيديكم ، و لا يسعني إلا أن أقول كما قاله ابن مسعود رضي الله عنه : " فإن يكُ صواباً فمن الله عز و جل ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان ، والله و رسوله بريئان ". و حسبي أني اجتهدتُ فيه بقدر استطاعتي ، والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم . والله من وراء القصد .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، و صلى الله على نبينا محمد و على آله وصحبه و سلم .

الفهرس

المقدمة..٥

الحسن بن علي رضي الله عنه ٧

الحسين بن علي رضي الله عنه ١٢

بلال بن رباح رضي الله عنه ١٩

الإمام أبو حنفية النعمان..................................٢٥

الإمام مالك بن أنس ٣٣

الإمام الشافعي ٤١

الإمام أحمد بن حنبل ٥١

ختام ورثة الأنبياء ٦٥

الخاتمة...٧٠

الفهرس...٧١

تصميم المشاعل
@ALMashael41